من روائع نهج البلاغة

من روائع نهج البلاغة

التوحيد

نهج البلاغه؛ كتاب التوحيد، كتاب أوله الحمد وآخره الشُكر، وبين الحمد والشكر عِطرُ التوحيد من سمائه... .

أوله الحمدلله الذي لا يبلغُ مِدحته القائلون، ولا يُحصي نعماءه العادُّون، ولا يؤدّى حقّهُ المجتهدون... الى آخر الخطبة.

لقد تكلّم الامام اميرُالمؤمنين عن التوحيد بأفضل شكل، فلو جمعنا اقوال المتكلمين والعارفين وكل من تفوّه بالتوحيد أو كتب فيه لفاقت كلمة اميرالمؤمنين في التوحيد على كل ماكتبوا و تفوّهوا قال اميرالمؤمنين بعتارة قصرة وبليغة جداً.

التوحيدُ أن لاتتوهمَّه، والمذلُ أن لاتَتهمهُ لان كل موهم محدود، واللّه لايحد بوهم، واعتقاد الانسان يعدله هو أن لاتَتهمهُ في أفعالهِ بظن عدم الحكمة فيها، وهذا منتهى معنى التوحيد... .

وعند ما يقول أميرالمؤمنين: أولُ الدين معرفته وكمالُ معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيدهُ وكمالُ توحيده الاخلاص له وكمالُ الإخلاص له نفي الصفات عنه....

فأين نجد مثل هذهِ العبارات التي تدخل الى القلب بلا جواز مرور، وبلاشرطة وحرس لانه كلام نابع في القلب، وهذا هو سرُّ البلاغة عند اميرالمؤمنين (عليه السلام) أنه يقول بلسانه ما يقتحم القلوب ويستقر في الأفئدة.

فهو "كائن لا عن حدثٍ" لإنه مكّون المحدثات.

و"موجودٌ لا عن عدمٍ" لأنه موجد المعدومات.

و"أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه إبتداءً" إذا أوجده من لا مادة ولا لكي تحصل له فائدةٌ من الخلق... .

فإذا أردنا كتاباً في التوحيد هو صنو القرآن الكريم فعلينا بنهج البلاغة الذي يضم ما قاله أميرالمؤمنين (عليه السلام) وما كتبه من رسائل كانت غايته من ذلك هو الهداية العامة للبشرية، وأول منطلق للهداية هو التوحيد.

لقد أراد أميرالمؤمنين (عليه السلام) بكلماته أن يبني مجتمعاً صالحاً يقوم على العدل والإنصاف ولن يتحقق هذا المجتمع إلاّ أن يرسي على قاعدة متينة هي قاعدة التوحيد هو عمل الأنبياء. وفي أجل هذهِ الواجبات بعث اللّه الأنبياء للبشرية.

وهكذا يتحدث أميرالمؤمنين (عليه السلام) عن الانبياء والنبوة، وهو حديث ينطلق من القلب ليدخل الى القلب.

معرفة اللّه وصفاته

اللّه خالق كل شي ء

الْحَمْدُ لِلّهِ بَطْنَ[1] خَفِيّاتِ الْأُمُورِ[2]، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلامُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلى عَيْنِ الْبَصِيرِ، فَلا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ...[3] أرانا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَعَجائِبِ ما نَطَقَتْ بِهِ آثارُ حِكْمَتِهِ، وَاعْتِرافِ الْحاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إلى أنْ يُقِيَمها بِمِساكِهِ[4].

---

١ . بطن الخفيّات: عَلِمَها من باطنها.

٢ . الاعلام: جمع عَلَم- بالتحريك- وهو المنار يهتدى به، ثمّ عمّ في كلّ مادلّ على شي ء. واعلام الظهور: الأدلة الظاهرة.

٣ . الخطبة: ٤٩- عيون الحكم والمواعظ: لعليّ بن محمّد بن شاكر الواسطي "المتوفى ٤٥٧ ه".

٤ . المساك: بكسر الميم- ما يمسك الشي ء كالملاك ما به يملك.

قُوَّتِهِ:

ما دَلَّنا بِاضْطِرارِ قِيامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلى مَعْرِفَتِهِ، فَظَهَرَتْ فِي الْبَدائِعِ الَّتي أَحْدَثَها آثارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلامُ حِكْمَتِهِ.

فَصارَ كُلُّ ما خَلَقَ حُجَّةً لَهُ. وَدَلِيلاً عَلَيْهِ، وَإِنْ كانَ خَلْقاً صامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ ناطِقَةٌ، وَدَلالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قائِمَةٌ...[1]

شواهد خلقه

فَمِنْ شَواهِدِ خَلْقِهِ: خَلْقُ السَّمواتِ مُوَطَّداتٍ[2] بِلا عَمَدٍ، قائِماتٍ بِلاسَنَدٍ. دَعاهُنَّ: فَأَجَبْنَ طائِعاتٍ، مُذْعِناتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّئاتٍ،[3] وَلا مُبْطِئاتٍ.

وَلَوْلا إِقْرارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَادْعائُهُنَّ بِالطَّواعِيَةِ،[4] لَما جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرشِهِ، وَلا مَسْكَناً لِمَلائِكَتِهِ، وَلا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ، وَالْعَمَلِ الصّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ.[5]

النظر في معالم التوحيد

فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّباتِ وَالشَّجَرِ، وَالْماءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلافِ هذَا اللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَتَفَجُّرِ هذِهِ الْبِحارِ، وَكَثْرَةِ هذِهِ الْجِبالِ، وَطُولِ هذِهِ الْقِلالِ،[6] وَتَفَرُّقِ هذِهِ اللُّغاتِ وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفاتِ.

فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ وَجَحَدَ الْمُدَبِّرَ.

زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّباتِ ما لَهُمْ زارِعٌ، وَلا لِاخْتِلافِ صُوَرِهِمْ صانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَؤُوا[7] إِلى حُجَّةٍ فِيما ادَّعَوْا، وَلا تَحْقِيقٍ لِما أَوْعَوْا[8]، وَهَلْ يَكُونُ بِناءٌ مِنْ غَيْرِ بانٍ؟! أَوْ جِنايَةٌ مِنْ غَيْرِ جانٍ؟![9]

---

١ . الخطبة: ٩١- العقد الفريد: ٢:٤٠٦، لابن عبد ربّه. التوحيد: ص ٣٤ للشيخ الصدوق "المتوفى ٣٨١ ه"، ربيع الابرار: ٥ "باب الملائكة" للزمخشري، فرج المهموم: ص ٥٤ للسيد بن طاووس.

٢ . موطّدات: مثبّتات في مداراتها على ثقل أجرامها.

٣ . متلكئات: التّلكؤ: التوقف والتباطؤ.

٤ . الطواعية: الطاعة.

٥ . الخطبة: ١٨٢- عيون الحكم والمواعظ:لابن شاكر الليثي. النهاية: ٢:١٤٥ و ١٩٨. الأمالي: ٣٦٢ للشيخ الصدوق رحمه الله.

٦ . القلال- جمع قُلّة بالضم- وهي رأس الجبل.

٧ . لم يلجؤوا: لم يستندوا.

٨ . أوعاه: كوعاه- بمعنى حفظه.

٩ . الخطبة ١٨٥- الاحتجاج: ١:٣٠٥ للطبرسي، ربيع الابرار: "باب دواب البرّ والبحر" للزمخشري، الأمالي ص ١٩٢، لابي طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسني "المتوفى ٤٢٤ ه".

التفكّر مفتاح الحق والمعرفة

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخافُوا عَذابَ الْحَرِيقِ؛ وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ، وَالْأَبْصارَ مَدْخُولَةٌ!

أَلا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ ما خَلَقَ؟! كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ[1].[2]

عجائب خلقة النملة

أُنظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ! فِي صِغَرِ جُثَّتِها، وَلَطافَةِ هَيْئَتِها، لا تُنالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، وَلا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِها، وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِها، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى حُجْرِها، وَتُعِدُّها فِي مُسْتَقَرِّها، تَجْمَعُ فِي حَرِّها لِبَرْدِها، وَفِي وُرُودِها لِصَدَرِها.[3]

مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِها، مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِها[4]، لا يُغْفِلُهَا الْمَنّانُ، وَلا يَحْرِمُهَا الدَّيّانُ وَلَوْ فِي الصَّفَا[5] الْيابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجامِسِ[6].[7] وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجارِي أَكْلِها: فِي عُلْوِها وَسُفْلِها، وَما فِي الْجَوْفِ مِنْ شَراسِيفِ[8] شَراسِيفِ[8] بَطْنِها، وَما فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِها وَأُذُنِها، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِها عَجَباً، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِها تَعَباً!!

فَتَعالَى الَّذِي أَقامَها عَلَى قَوائِمِها، وَبَناها عَلَى دَعائِمِها، لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِها فاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِها قادِرٌ. وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غاياتِهَ، ما دَلَّتْكَ الدَّلالَةُ إِلاّ عَلَى:

أَنَّ فاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فاطِرُ النَّحْلَةِ، لِدَلِيلِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَغامِضِ أَخْتِلافِ كُلِّ حَيٍّ. وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلا سَواءٌ.[9]

ياللعجب!! هذه اعجوبة أخرى وَإِنْ شِئتَ قُلْتَ فِي الْجَرادَةِ:

إِذْ خَلَقَ لَها عَيْنَيْنِ حَمْراوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَها حَدَقَتَيْنِ قَمْراوَيْنِ،[10] وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، وَنابَيْنِ بِهِما تَقْرِضُ، وَمِنْجَلَيْنِ[1] بِهِما تَقْبِضُ، يَرْهَبُهَا الزُّرّاعُ

---

١ . البشر: جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد الإنساني.

٢ . الخطبة ١٨٥- الاحتجاج: ١:٣٠٥ للطبرسي، ربيع الابرار: "باب دواب البرّ والبحر" للزمخشري، الأمالي ص ١٩٢.

٣ . الصَدَر: محرّكاً- الرجوع بعد الورود.

٤ . بوفقِها: بكسر الواو، أي بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها.

٥ . الصّفا: الحجر الأملس لا شقوق فيه.

٦ . الجامس: الجامد.

٧ . الخطبة ١٨٥.

٨ . الشراسيف: مقاط الأضلاع: وهي أطرافها التّي تشرف على البطن.

٩ . الخطبة ١٨٥.

١٠ . قمْراوين: اي مضيئين، كأنّ كلا منهما ليلة قمراء أضاءها القمر.

فِي زَرْعِهِمْ، وَلا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّها[2] وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَواتِها[3]، وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَواتِها، وَخَلْفُها كُلُّهُ لا يَكُونُ إصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً[4].

عجائب خلقة الحيوان

وَلَو اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوانِها: مِنْ طَيْرِها، وَبَهائِمِها، وَما كانَ مِنْ مُراحِها[5] وَسائِمِها[6]، وَأَصْنافِ أَسْناخِها[7] وَأَجْناسِها، وَمُتَبَلِّدَةِ[8] أُمَمِها وَأَكْياسِها، عَلى إحْداثِ بَعُوضَةٍ، ما قَدَرَتْ عَلى إحْداثِها، وَلا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إلى ايجادِها، وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُها فِي عِلْمِ ذلِكَ وَتاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُواها وَتَناهَتْ، وَرَجَعَتْ خاسِئَةً[9] حَسِيرَةً[10]، عارِفَةً بِأَنَّها مَقْهُورَةٌ، مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إنْشائِها، مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إفْنائِها.[11]

عجائب خلقة الانسان

... أَمْ هذا الَّذِي أَنشَأَهُ فِي ظُلُماتِ الْأَرْحامِ، وَشُغُفِ الْأَسْتارِ[12]، نُطْفَةً دِهاقًا،[13] وَعَلَقَةً مُحاقًا[1]، وَجَنِينًا[2]، وَجَنِينًا[2]، وَراضِعًا، وَوَلِيدًا وَ يافِعاً[3]، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حافِظاً وَلِسانًا لافِظًا، وَبَصَراً لاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرُ مُزْدَجِرًا، حَتّى إذا قامَ اعْتِدالُهُ، وَاسْتَوى مِثالُهُ[4]، نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا، وَخَبَطَ سادِرًا[5].[6]

---

١ . منجلين: المنجل- كمنبر- آلة من حديد معروفة يُقضَبُ بها الزّرع قالوا: اراد بهما هنا، رجلي الجرادة، لاعوجاجهما وخشونتهما.

٢ . ذَبَّها: دفعها.

٣ . نَزَواتها:وثباتها، نزاعليه: وثب.

٤ . الخطبة ١٨٥.

٥ . مُراحها: بضم الميم- اسم مفعول من أراح الأبل، ردّها الى المُراح- بالضمّ كالمُناخ- الى المأوى.

٦ . السّائم: الرّاعي يريد ما كان في مأواه وما كان في مرعاه.

٧ . الأسناخ: الأصول، والمراد منها الأنواع، أي الأصناف الداخلة في أنواعها.

٨ . المتبلدة: أي الغبية.

٩ . الخاسي ء: الذّليل.

١٠ . الحسير: الكالّ المُعيي.

١١ . الخطبة ١٨٦- الاحتجاج: ١:٢٩٩، للطبرسي. الكافي: ١:١٣٨، الكليني. التوحيد: ص ٩٦ و ص ٣٢٠، الأمالي: ص ٢٠٥ للشيخ الصدوق. الارشاد: ص ١٣١ للشيخ المفيد. الاختصاص: ص ٢٣٦ للشيخ المفيد. تذكرة الخواص: ص ١٥٧ للسبط ابن الجوزي. امالي المرتضى: ١:١٤٨.

١٢ . شُغُف الأستار: جمع شَغاف- مثل سَحاب وسُحُب- وهو في الاصل غلاف القلب، استعارة للمشيمة.

١٣ . دهاقاً: متتابعاً، دهقها صبّها بقوّة، وقد تفسر الدّهاق بالممتلئة، اي: ممتلئة من جراثيم الحياة.

... أيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ،[٧] وَالْمُنْشَأُ[٨] الْمَرْعِيُّ، في ظُلُماتِ الْأَرْحامِ، وَمُضاعَفاتِ الْأَسْتارِ، بُدِئْتَ "مِنْ سُلالَةٍ[٩] مِنْ طِينٍ"، وَوُضِعْتَ "في قَرارٍ مَكِينٍ،[١٠] إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ"،[١١] وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ[١٢] في بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لا تُحِيرُ[١٣] دُعاءً، وَلا تَسْمَعُ نِداءً.

ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلى دارٍ لم تَشْهَدْها، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنافِعِها، فَمَنْ هَداكَ لِاجْتِرارِ الْغِذاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ، وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحاجَةِ مَواضِعَ طَلَبِكَ وَإِرادَتِكَ؟![١٤]

... فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلامُ الْوُجُودِ عَلى إِقْرارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ. تَعالَى اللَّهُ عَمّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ، وَالْجاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيرا.[١٥]؟

النبوة العامة والخاصة

النبوة

عندما يتحدث الامام أميرالمؤمنين (عليه السلام) عن النبوة، يتحدث عن عمق الفكر وسعة المعرفة بدقائق الأمور فهو لايتكلم عن اجتهاد أو مظنة أويلقي رأياً كما يفعل ذالك الحكماء

---

١ . علقة محاقا: اي خَفي فيها ومُحِق كلّ شكل وصورة.

٢ . الجنين: الولد بعد تصويره مادام في بطن أمه.

٣ . اليافع: الغلام راهق العشرين.

٤ . مثاله: اي بلغت قامته حدّما قدّر لها من النماء.

٥ . خبط سادراً: خبط البعيرُ: اذا ضرب بيديه الأرض لا يتوقى شيئاً، والسّادر: المتحيّر والذّي لا يهتمّ ولا يبالي ماصنع.

٦ . الخطبة: ٨٣- تحف العقول: ص ١٤٦، لابن شعبة الحرّاني، دستور معالم الحكم: ص ٥٩ للقاضي القضاعي، عيون الحكم والمواعظ.

٧ . السوي: مستوي الخلقة لا نقص فيه.

٨ . المنشأ: المبتدع، والمرعي: المحفوظ المعني بأمره.

٩ . السلالة من الشي ء: ما انسلّ منه.

١٠ . القرار المكين: محلّ الجنين من الرّحم.

١١ . المرسلات: ٢١ و ٢٢.

١٢ . تمور: تَتَحرّك.

١٣ . لا تحير: من قولهم: ما أحار جواباً، أي لم يستطع ردّاً.

١٤ . الخطبة: ١٦٣، حلية الاولياء: ١:٧٢ لأبي نعيم الاصفهاني، عيون الحكم والمواعظ للواسطي، ربيع الابرار.

١٥ . الخطبة: ٤٩، في الحكم والمواعظ، لعلي بن محمّد بن شاكر الواسطي "المتوفى ٤٥٧ ه".

والمتكلمون. وَتجلي هذهِ المعرفة الدقيقة بخبايا النبوة في كلماته الدقيقة التي تجد فيها آية زياده أو نقيصته لا في اللفظ ولا في المعنى.
يقول اميرالمؤمنين (عليه السلام) فبعث فيهم رُسُله، وواتر اليهمْ أنبياءه ليستأدُهُمْ ميثاق فطرته، ويذكِّرُ هُم منسِيَّ نعمتِهِ، ويحتجّوا عَليهم بالتَّبليغ، ويُثيرا لهم دَفائنَ العقول، ويُروهم الآيات المقَدَّره.
فقد ذكر الشيخ المفيد بأن العقل البشري يحتاج في علمه ونتائجه الى السمع... وأنه لابد في أول التكليف وإبتدائه في العالم من رسول[1] وواجب الرسول كما يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام):

أولاً: ليستأدُوهُمْ ميثاق فطرَته، إشارة الى الآية الكريمة (وإذ أخذ ربك في بني آدم في ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة، إنا كنّا عن هذا غافلين)[2]، فقد أخذ اللّه في البشر عهداً أن يقروا بربوبيته ويعترفوا بأنه الخالق العليم القدير وقد جاء الأنبياء ليطلبوا من البشر العمل بموجب هذا الميثاق الإلهي.
ثانياً: ويُذكِّرُوهُم؟ نعمته، فالإنسان مأخوذٌ في النسيان لفظاً ومعنىً وقد نست الأقوام الماضية نعم اللّه فجاء الأنبياء ليذكروهم بتلك لنعم: فهذا بني اللّه هود جاء قومه ليذكرهم بأنّ اللّه جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح وزادهم في الخلق بسطة وذلك صالح بني اللّه جاء ليذكر قومه نعمة اللّه في تبؤهم الأرض يتخذون في سهولها قصوراً وينحتون في الجبال بيوتاً وذلك موسى بني اللّه جاء ليذكر بني اسرائيل بنعم اللّه ع ليهم. وهكذا كل بنيّ جاء لتذكير الناس بما أنعم اللّه عليهم.
ثالثاً: يحتجون عليهم بالتبليغ لئلا يعتذروا في ترك طاعته.
رابعاً: ويثيروا لهم دفائن العقول؛ من علم وحكمه ومعرفة أنعم اللّه بها على الانسان.
خامساً: ويرهم الآيات المقدرة: وهي المعجزات التي لا تستطيع العين مشاهدتها بدون مرشد.

في الرّسالة الالهية

الْحَمْدُلِلّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الْخالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنصَبَةٍ،[3] خَلَقَ الْخَلائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبابَ بِعِزَّتِهِ، وَسادَ الْعُظَماءَ بِجُودِهِ. وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ...[4] وَواتَرَ[5] إِلَيْهِمْ أَنْبِياءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّروهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آياتِ الْمُقْدِرَةِ: مِن سَقْفٍ فَوْقَهُم مَرْفُوعٍ، وَمِهادٍ تَحْتَهُم مَوْضُوعٍ، وَمَعايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصابٍ[6] تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْداثٍ تَتابَعُ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يُخْلِ اللّه اللّه سُبْحانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتابٍ مُنْزَلٍ، اَوْ حُجَّةٍ لازِمَةٍ، اَوْ مَحَجَّةٍ[7] قائِمَةٍ...[1]

---

١ . أوائل المقالات: ص ٥٠.

٢ . سورة الأعراف آية ٧٢.

٣ . المنصبة- كمصطبة- التعب.

٤ . الخطبة:١٨٣، ربيع الابرار: ١:٥٣ للزمخشري، النهاية: ٥:٢٩٩، لابن الاثير، تفسير البرهان: ١:٩ للسيد البحراني.

٥ . واتر اليهم أنبياءه: أرسلهم وبين كل نبيّ ومن بعده فترة، وقوله ليستادوهم: ليطلبوا الأداء.

٦ . الأوصاب: المتاعب.

٧ . المحجّة: الطريق القويم الواضح.

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَودَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَناسَخَتْهُمْ[2] كرائِمُ الْأَصْلابِ إِلى مُطَهَّراتِ الْأَرْحامِ، كُلَّما مَضى مِنْهُمْ سَلَفٌ قامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلَفٌ...[3]

رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ: عَلى ذلِكَ نَسَلَتِ[4] الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْآباءُ، وَخَلَفَتِ الْأَبْناءُ.[5]

الرّسالة المحمدية

إِلى أَنْ بَعثَ اللَّه سُبْحانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّه ِصَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِإِنْجازِ عِدَتِهِ،[6] وَتَمامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثاقُهُ، مَشْهُورَةً سِماتُهُ،[7] كَرِيماً مِيلادُهُ...[8] خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَها كَهْلاً، أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً،[9] وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطِرِينَ دِيمَةً...[10]،[11] كُلَّما نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ[12] فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِما، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عاهِرٌ،[13] وَلاضَرَبَ[14] فِيهِ فاجِرٌ...[15] فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعادِنِ مَنْبِتاً،[16] وَأَعَزِّ

---

١ . الخطبة: ١، الكافي: ١:١٤٠ للشيخ الكليني "المتوفى ٣٢٨ ه"، الارشاد: ص ١٠٨ للشيخ المفيد "المتوفى ٤١٣ هـ.

٢ . تناسختهم: تناقلتهم.

٣ . الخطبة: ٩٤ الكافي: ١:١٣٤- التوحيد: ص ٢٨ للشيخ الصدوق "المتوفى ٣٨١ هـ.

٤ . نَسَلت: بالبناء للفاعل: مضت متتابعة.

٥ . الخطبة: ١.

٦ . الضمير في عِدَته للّه تعالى، والمراد وعد اللّه بارسال محمد صلى الله عليه و آله و سلم على لسان انبيائه السّابقين].

٧ . سماته: علاماته التي ذكرت في كتب الأنبياء السّابقين الذين بشّروا به.

٨ . الخطبة: ١ الكافي: ١:١٤٠- مطالب السؤل لمحمد بن طلحة الشافعي.

٩ . الشيمة: الخُلُق.

١٠ . الدّيمة- بكسر الدال-: المطر، يدوم في سكون، والمستمطر- بفتح الطاء- من يُطلب منه المطر.

١١ . الخطبة: ١٠٥، الارشاد ص ١٦٠ تفسير علي بن ابراهيم: ١:٣٨٤.

١٢ . نسخ الخلق: نقلهم بالتناسل عن أصولهم، فجعلهم بعد الوحدة في الاصول، فرقا.

١٣ . العاهر: الزّاني ومن يأتي غير حلّه كالفاجر.

١٤ . ضرب في الشي ء: صار له نصيب منه.

١٥ . الخطبة: ٢١٤، غرر الحكم آمدي- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٩:١١.

١٦ . منبت، كمجلس: موضع النبات منبت فيه.

الْأَرومات[1] مَغْرِساً،[2] مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ[3] مِنْها أَنبِياءَهُ، وَانتَجَبَ[4] مِنها أُمَناءَهُ...[5] عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ،[6] وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ[7] فِي كَرَمٍ، لَها فُرُوعٌ طِوالٌ، وَثَمَرَةٌ لا تُنالُ...[8] أَغْصانُها مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمارُها مُتَهَدِّلَةٌ،[9] مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ،[10] عَلابِها ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ مِنْها صَوْتُهُ، أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلافِيَةٍ[11]، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكامَ الْمَفْصُولَةَ[12]،.[13]

رسالة الاسلام في ظلمة الجاهلية

أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعِلْمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّياءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ.

إِزاحَةً لِلشُّبُهاتِ، وَاحْتِجاجاً بِالْبَيِّناتِ، وَتَحْذِيراً بِالْآياتِ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلاتِ،[14] وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ[15] فِيها حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعْزَعَتْ سَوارِي[16] الْيَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ،[1] وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ، وَضاقَ الْمَخْرَجُ، وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ.

---

١ . الأرومات: جمع أرومة: الأصل.

٢ . المغرس: موضع الغرس.

٣ . صدع: شقّ.

٤ . انتجب: اختار واصطفى.

٥ . الخطبة: ٩٤.

٦ . عترته: آل بيته، وعترة الرّجل: نسله ورهطُهُ الأدنون.

٧ . بَسَقَتْ: ارتفعت.

٨ . الخطبة: ٩٤.

٩ . متهدّلة: متدليّة: دانية للإقتطاف.

١٠ . طيبْة: المدينة المنورة.

١١ . متلافية: من تلافاه: تداركه بالاصلاح قبل أن يهلكه الفساد، فدعوة النبي تلافت امور الناس قبل هلاكهم.

١٢ . المفصولة: التي فصلها اللّه أي قضى بها على عباده.

١٣ . الخطبة: ١٦١، بحارالانوار: ١٨:٢٢٢.

١٤ . المثلات: بفتح فضم: العقوبات، جمع مثلة- بضم الثاء وسكونها بعد الميم-.

١٥ . انجذم: انقطع.

١٦ . السواري: جمع سارية، وهي العمود والدعامة.

فَالْهُدى خامِلٌ، وَالْعَمى شامِلٌ، عُصِيَ الرَّحْمنُ، وَنُصِرَ الشَّيْطانُ، وَخُذِلَ الْإيمانُ، فَانْهارَتْ دَعائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعالِمُهُ، وَدَرَسَتْ[٢] سُبُلُهُ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ[٣]، أطاعُوا الشَّيْطانَ فسَلَكُوا مَسالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَناهِلَهُ[٤]، بِهِمْ سارَتْ أعْلامُهُ، وَقامَ لِواؤُهُ، فِي فِتَنٍ داسَتْهُمْ بِأَخْفافِها،[٥] وَوَطِئَتْهُمْ بِأَضْلافِها،[٦] وَقامَتْ عَلى سَنابِكِها.[٧]

فَهُمْ فِيها تائِهُونَ حائِرونَ جاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دارٍ وَشَرِّ جِيرانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عالِمُها مُلْجَمٌ، وَجاهِلُها مُكْرَمٌ...[٨].

ظلمات قبل الظهور

أرْسَلَهُ عَلى حِينِ فَتْرَةٍ[٩] مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتِزامٍ[١٠] مِنَ الْفِتَنِ، وَانْتِشارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَظٍّ[١١] مِنَ الْحُرُوبِ، وَالدُّنْيا كاسِفَةُ النُّورِ، ظاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلى حِينِ اصْفِرارٍ مِنْ وَرَقِها وَإِياسٍ مِنْ ثَمَرِها، واغْوِرارٍ[١٢] مِنْ مائِها، قَدْ دَرَسَتْ أعْلامُ الْهُدى، وَظَهَرَتْ أعْلامُ الرَّدى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ[١٣] لِأَهْلِها، عابِسَةٌ فِي وَجْهِ طالِبِها. ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ[١٤] وَطَعامُهَا الجِيفَةُ،[١٥] وَشِعارُهَا[١] الْخَوْفُ،

---

١ . النجر: بفتح النون وسكون الجيم: الأصل.

٢ . دَرَسَت: كانْدَرَسَتْ: انطمَسَتْ.

٣ . الشُّرك: جمع شراك ككتاب، وهي الطريق.

٤ . المناهِلُ: جمع مَنْهل،وهو مورد النهر.

٥ . الأخفاف: جمع خُفّ، وهو للبعير كالقدم للإنسان.

٦ . الأظلاف: جمع ظِلْف- بالكسر- للبقر والشاة وشبههما كالخف للبعير والقدم للإنسان.

٧ . السنابك: جمع سُنْبُك كقُنْفُذ: وهو طرف الحافر.

٨ . الخطبة: ٢ المسترشد: ص ٧٣ للطبري. عيون الاخبار: ١:٣٢٦، لابن قتيبة. العقد الفريد: ٣:١١٢ لابن عبد ربه "المتوفى ٣٢٨"، مطالب السؤل: لمحمد بن طلحة الشافعي.

٩ . الفترة: مابين زماني الرّسالة.

١٠ . اعتزام من قولهم اعتزم الفرس إذا مرّ جامحاً.

١١ . تَلَظٍّ: أي تَلَهُّب.

١٢ . اغورار الماء: ذهابه.

١٣ . متجهّمة من تجهّمه اي: استقبله بوجه كريه.

١٤ . ثمرها الفتنة اي: ليست لها نتيجة سوى الفتن.

١٥ . الجيفة: اشارة إلى أكل العرب للميتة من شدة الاضطرار.

وَدِثارُهَا[2] السَّيْفُ...[3] بَعَثَهُ وَالنّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحاطِبُونَ[4] فِي فِتْنَةٍ، قَدِاسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْواءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ[5] الْكِبْرِياءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ[6] الْجاهِلِيَّةُ الْجَهْلاءُ،[7] حَيارى فِي زِلْزالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلاءٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلاءٍ مِنَ الْجَهْلِ.

فجر الإسلام

فَبالَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.[8]

...حَتّى أراهُمْ مَنجاتَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدارَتْ رَحاهُمْ،[9] وَاسْتَقامَتْ قَناتُهُمْ...[10]،[11]... أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ،[12] وَإِيضاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً[13] بِها، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دالاً عَلَيْها، وَأَقامَ أَعْلامَ الإِهْتِداءِ، وَمَنارَ الضِّياءِ، وَجَعَلَ أَمْراسَ[14] الإِسْلامِ مَتِينَةً، وَعُرَى الإِيْمانِ وَثِيقَةً.[15]

---

١ . الشعار من الثياب: ما يلي البدن.

٢ . الدثار: فوق الشعار.

٣ . الخطبة: ٨٩ الكافي: ١:١٥ و ٦٠- الطراز: ١:٣٤٢ للسيد العلوي اليماني.

٤ . حاطبون: جمع حاطب، وهو الذي يجمع الحطب، يقال لمن يجمع الصواب والخطأ: حاطب ليل.

٥ . استزلتهم: أدّت الى الزّلل والسقوط في المضارّ.

٦ . استخفتّهم: طيَّشَتْهُمْ: من لا يقصد وجهاً واحداً لخفة عقله.

٧ . الجَهلاء: وصف مبالغة للجهل.

٨ . الخطبة: ٩٥ بحار الانوار: ١٨:٢١٩.

٩ . استدارت رَحاهم: كناية عن وفرة أرزاقهم، فانّ الرحى انما تدور على ما تطحنه من الحَبّ، والرحى: رحى الحرب يطحنون ها.

١٠ . القناة: الرمح، واستقامتها كناية عن صحة الاحوال وصلاحها.

١١ . الخطبة: ١٠٤ الارشاد: ١٥٤- الخصائص للشيخ المفيد.

١٢ . الفلج: الظفر، وظهوره: علوّ كلمة الدّين.

١٣ . صادعاً: جاهراً.

١٤ . الأمراس: جمع مَرَس بالتحريك وهو جمع مَرَسة- بالتحريك- وهو الحبل.

١٥ . الخطبة: ١٨٥ الاحتجاج للطبرسي: ١:٣٠٥.

إبْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ، وَالْبُرْهانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهاجِ الْبادِي،[1] وَالْكِتابِ الْهادِي...[2]

القرآن الكريم

فبعث محمّداً بالحق

القرآن برنامج الحياة

لِيُخْرِجَ عِبادَهُ مِنْ عِبادَةِ الْأَوْثانِ إِلى عِبادَتِهِ، وَمِنْ طاعَةِ الشَّيْطانِ إِلى طاعَتِهِ.

بِقُرْآنٍ قَدْبَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَإِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنكَرُوهُ.

فَتَجَلّى[3] لَهُمْ سُبْحانَهُ فِي كِتابِهِ مِنْ غَيْرِ أَن يَكُونُوا رَأَوْهُ بِما أَراهُم مِنْ قُدْرَتِهِ، وِ خَوَّفَهُم مِنْ سَطْوَتِهِ وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلاتِ،[4] وَاحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِماتِ...[5] أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتابَ نُورًا لاتُطْفَأُ لاتُطْفَأُ مَصابِيحُهُ وَسِراجًا لايَخْبُو[6] تَوَقُّدُهُ، وَبَحْراً لايُدْرَكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهاجًا[7] لا يَضِلُّ نَهْجُهُ،[8] وَشُعاعًا وَشُعاعًا لايُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفُرْقاناً لايَخْمَدُ بُرْهانُهُ وَبُنْياناً لاتُهْدَمُ أَرْكانُهُ وَشِفاءً لاتُخْشى أَسْقامُهُ، وَعِزًّا لاتُهْزَمُ أَنْصارُهُ وَحَقًّا لاتُخْذَلُ أَعْوانُهُ.

فَهُوَ مَعْدِنُ الْأَيمانِ وَبُحْبُوحَتُهُ،[9] وَيَنابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِياضُ[10] الْعَدْلِ وَغُدْرانُهُ،[11] وَأَثافِيُّ[12] الْإِسْلامِ وَبُنْيانُهُ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطانُهُ،[13] وَبَحْرٌ لايَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ،[14] وَعُيُونٌ لايُنْضِبُها[1]

---

١ . المنهاج البادي: اي الظاهر.

٢ . الخطبة: ١٦١ بحارالانوار: ١٨:٢٢٢.

٣ . تجلّى لهم سبحانه: ظهر لهم من غير أن يرى بالبصر.

٤ . المَثُلات- بفتح فضم- العقوبات.

٥ . الخطبة: ١٤٧ الروضة من الكافي ص ٣٨٦.

٦ . خبت النّار:انطفأت.

٧ . المنهاج: الطريق الواسع.

٨ . النهج: هنا السّلوك، ويُضلّ رباعي: أي لا يكون من سلوكه اضلال.

٩ . بحبوحة المكان: وسطه.

١٠ . الرّياض- جمع روضة- وهي مستنقع الماء في رمل او عشب.

١١ . الغدران- جمع غدير-: وهو القطعة من الماء يغادرها السيل.

١٢ . الأثافي- جمع أثفية- الحجر يوضع عليه القدر، اي عليه قام الاسلام.

١٣ . غيطان الحق- جمع غاط او غوط-: وهو المطمئن من الأرض.

١٤ . لا ينزفه: لا يفنى ماؤه ولا يستفرغه المغترفون.

الْماتِحُونَ، وَمَناهِلُ[2] لايُغِيضُهَا[3] الْواردُونَ، وَمَنازِلُ لايَضِلُ نَهْجَها الْمُسافِرُونَ، وَأعْلامٌ لايَعْمى عَنْهَا السّائِرُونَ، وَآكامٌ[4] لايَجُوز عَنْها[5] الْقاصِدُونَ[6].

عليكم بالقرآن

...جَعَلَهُ اللّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَماءِ، وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهاءِ، وَمَحاجَّ[7] لِطُرُقِ الصُّلَحاءِ، وَدَواءً لَيْسَ بَعْدَهُ داءٌ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ. وَحَبْلاً وَثِيقًا عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعًا ذِرْوَتُهُ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلاهُ، وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وَعُذْرًا لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وَبُرْهانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشاهِدًا لِمَنْ خاصَمَ بِهِ، وَفَلْجًا[8] لِمَنْ حاجَّ بِهِ. وَحامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَجُنَّةً[9] لِمَنْ اسْتَلأمَ،[10] وَعِلْمًا لِمَنْ وَعى، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوى، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضى[11]،.[12]

... جَعَلَهُ اللّهُ سُبْحانَهُ بَلاغًا لِرِسالَتِهِ، وَكَرامَةً لأُمَّتِهِ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمانِهِ وَرِفْعَةً لأعْوانِهِ، وَشَرَفًا لأنْصارِهِ...[13]

اللّهُمَّ داحِيَ الْمَدْحُوّاتِ،[14] وَداعِمَ الْمَسْمُوكاتِ،[1] وَجابِلَ الْقُلُوبِ[2] عَلى فِطْرَتِها[3] شَقِيِّها وَسَعِيدِها. اجْعَلْ اجْعَلْ شَرائِفَ[4] صَلَواتِكَ وَنَوامِيَ[5] بَرَكاتِكَ عَلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْخاتِمِ[6]

---

١ . لا يُنضبها- كيُكرمها-: أي ينقصها. والماتحون- جمع ماتح- نازع الماء من الحوض.

٢ . المناهل: مواضع الشرب من النهر.

٣ . لا يغيضها: من غاض الماء نقصه.

٤ . آكام- جمع أكمَة-: وهو الموضع يكون اشدْ ارتفاعاً مما حوله، وهو دون الجبل في غلظ لا يبلغ ان يكون حجراً.

٥ . لا يجوز عنها: لا يقطعها ولا يتجاوزها.

٦ . الخطبة: ١٩٨- الكافي: ٢:٤٩- حلية الاولياء: ١:٧٤ و ٧٥ لابي نعيم الاصفهاني. الخصال: ١:١٠٨ للشيخ الصدوق.

٧ . المَحاجّ- جمع مَحَجّة- وهي الجادّة من الطريق.

٨ . الفلج- بالفتح-: الظفر والفوز.

٩ . الجُنّة:-بالضمّ- ما به يتّقي الضّرر.

١٠ . استلأم: أي لبس اللامّة وهي الدرع او جميع ادوات الحرب، اي انّ من جعل القرآن لامّة حربه لمدافعة الشبه كان القرآن وقاية له.

١١ . قضى: حكم وفصل.

١٢ . الخطبة: ١٩٨- الكافي: ٢:٤٩، حلية الاولياء: ١:٧٤ و ٧٥، الخصال: ١:١٠٨.

١٣ . الخطبة: ١٩٨.

١٤ . داحي المدحوات اي: باسط المبسوطات واراد منها الارضين.

الْخاتِمُ[6] لِما سَبَقَ، وَالْفاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ،[7] وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدّافِعِ جَيْشاتِ الْأَباطِيلِ،[8] وَالدّامِغِ صَوْلاتِ[9] الْأَضالِيلِ، كَما حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ،[10] قائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً[11] فِي مَرْضاتِكَ، غَيْرَ ناكِلٍ[12] عَنْ قُدُمٍ،[13] وَلاواهٍ[14] فِي عَزْمٍ، واعِياً[15] لِوَحْيِكَ، حافِظاً لِعَهْدِكَ، ماضِياً عَلى نَفاذِ أَمْرِكَ، حَتّى أَوْرى قَبَسَ الْقابِسِ،[16] وَأَضاءَ الطَّرِيقَ لِلْخابِطِ،[17] وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضاتِ[18] الْفِتَنِ وَالْأَثامِ، وَأَقامَ

---

١ . داعم المسموكات: مقيمها وحافظها.المسموكات: المرفوعات وهي السماوات واصلها سَمَكَ بمعنى رَفَعَ.

٢ . جابل القلوب: خالقها.

٣ . الفطرة: اوّل حالات المخلوق التي يكون عليها في بدء وجوده،وهي للانسان: حالته خالياً من الآراء والاهواء.

٤ . الشرائف: جمع شريفة.

٥ . النوامي: الزوائد.

٦ . الخاتم لما سبق: أي لما تقدَّمه من النبوات.

٧ . الفاتح لما انغلق: كانت ابواب القلوب قد أغلقت باقفال الضلال عن طوارق الهداية فافتتحها صلى الله عليه و آله بآيات نبوته.

٨ . جيشات الأباطيل: جمع باطل على غير قياس، كما ان الأضاليل جمع ضلال على غير قياس، وجيشاتها:جمع جَيْشة- بفتح فسكون- من جاشت القدر اذ ارتفع غليانها.

٩ . الصولات: جمع صَوْلة، وهي السطوة، والدامغ من دمغه اذا شَجَّهُ.

١٠ . فاضطلع: أي نهض بها قويّاً، والضلاعة: القوّة.

١١ . المستوفز: المسارع المستعجل.

١٢ . النّاكل: النّاكص والمتأخّر، أي غير جبان.

١٣ . القُدُم:- بضمّتين- المشي إلى الحرب، ويقال: مضى قدما، أي سارع ولم يعرّج.

١٤ . الواهي: الضعيف.

١٥ . واعياً لوحيك: أي حافظاً وفاهماً، وَعَيَتْ الحديث، إذا حفظته وفهمته]

١٦ . أورى قبس القابس: يقال وَرى الزَّنْدُ كوعى، ووَرى- كوَلِيَ- يرى وريّاً فهو وارٍ خرجت ناره وأوريتُهُ وَوَرَّيْتُهُ وَالتَورِيَةُ: شعلة من النّار، والقابس الّذي يطلب النّار.

١٧ . الخابط: الذي يسير ليلاً على غير جادّة واضحة، فاضاءة الطريق له جعلها مضيئة ظاهرة.

١٨ . الخوضات: جمع خوضة وهي المرّة من الخوض.

مُوضِحاتِ الْأَعْلامِ،[1] وَنَيِّراتِ الْأَحْكامِ.[2] فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ،[3] وَشَهِيدُكَ وَشَهِيدُكَ[4] يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ[5] بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ.

اللّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ،[6] وَاجْزِهِ مُضاعَفاتِ الْخَيْرِ[7] مِن فَضْلِكَ.

اللّهُمَّ أَعْلِ عَلى بِناءِ الْبانِينَ بِناءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنزِلَتَهُ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِن ابْتِعاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهادَةِ مَرْضِيَّ الْمَقالَةِ، ذامَنطِقٍ عَدْلٍ، وَخُطَّةِ فَصْلٍ.

اللّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرارِ النِّعْمَةِ،[8] وَمُنَى الشَّهَواتِ،[9] وَأَهْواءِ اللَّذّاتِ، وَرَخاءِ الدَّعَةِ،[10] وَمُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ وَتُحَفِ الْكَرامَةِ[11].[12] وَاحْشُرْنا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزايا،[13] وَلا نادِمِينَ، وَلاناكِبِينَ،[14] وَلا ناكِثِينَ[15] وَلا ضالِّينَ، وَلا مُضِلِّينَ، وَلا مَفْتُونِينَ[16].

---

١ . الأعلام: جمع عَلَم- بالتحريك- وهو ما يستدلّ به على الطريق كالمنار ونحوه.

٢ . الخطبة: ٧٢، غريب الحديث: لابن قتيبة، دستور معالم الحكم: ص ١١٩، تذكرة الخواص ص ١٣٦.

٣ . العِلم المخزون: ما اختصّ اللّه به من شاء من عباده، ولم يبُح لغير اهل الحُظوَة به ان يطلعوا عليه، وذلك ممّا لا تتعلّق بالاحكام الشرعية.

٤ . شهيدك: شاهدك على الناس، كما قال اللّه تعالى: "فكيف اذا جئنا من كلّ أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً" النساء: ٤١.

٤١.

٥ . بعيثك بالحق: اي مبعوثك، فهو فعيل بمعنى مفعول، كجريح وطريح.

٦ . افسَحْ له: وَسّعْ له ماشئت أن توسع، في ظلّك أي: احسانك وبرّك فيكون الظل مجازاً.

٧ . مضاعفات الخير: أطواره ودرجاته.

٨ . قرار النعمة: مستقرّها حيث تدوم ولا تفنى.

٩ . مُنى الشهوات: منى جمع مُنية- بالضمّ- وهي مايتمنّاه الإنسان لنفسه، والشهوات: ما يشتهيه.

١٠ . رخاء الدّعة: الرّخاء: من قولهم رجل رَخِيّ البال أي: واسع الحال، والدعة: سكون النفس واطمئنانها.

١١ . تحف الكرامة: التحف: جمع تحفة، وهي مايكرم به الإنسان من البرّ واللطف.

١٢ . الخطبة: ٧٢- تذكرة الخواص: ص ١٣٦، دستور معالم الحكم ص ١١٩.

١٣ . غير خزايا: جمع خَزيان، من خَزيَ إذا خجل من قبيح ارتكبه.

١٤ . ناكبين: عادلين عن طريق الحق.

١٥ . ناكثين: ناقضين للعهد.

١٦ . الخطبة: ١٠٦- الكافي: ٢:٤٩- الخصال: ١:١٠٨-كتاب سليم بن قيس: ص ٣٧ و ص ٨٨.

الامامة والخلافة

الامامة

الامامة هي الأصل الثالث في أصول الدين، وقد قيل الكثيرٌ في الامامة وكُتب الكثير في الامامة، فقد أولى كل مذهبٍ دلوه في الامامة لكن أفضل مَن يستطيع أن يتكلم في الامامة هو أميرالمؤمنين (عليه السلام) أبوالأئمة أبوالحسنين ومنبع كل أئمة العلم والدين.

يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام) في رسالته لابن حنيف: ألا وإنّ لكل مأموم إمامة يقتدي به ويستفئ بنور عِلمِه.

فالامام في هذه العبارة المختصرة أكدّ لنا بأنّ الامامة هي ضرورة في ضرورات الحياة إذ لا يمكن للحياة أن تستقيم وتستقر على قواعدها بودن وجود القائد، فالقائد بمثابة الراعي الذي بفقده يصبح الغنم هدفاً للذئاب. وللأمة واجبات يجب أن يؤديا أزاء الامام.

الواجب الأول: هو الاقتداء بالامام.

الواجب الثاني: الاستفادة في علومِه. وقد قدّم الامام أميرالمؤمنين نفسه للمسلمين: بنا اهتديتُم في الظلماء وتسنمتمُ العلياء وبنا انضجرتم عن السرار وُقِرَ سَمْعٌ لم يفقِه الواعية.[1]

فهم أنوار اللّه وخير قدوة بعد رسول اللّه يقتدي به الناس. ولولا أميرالمؤمنين (عليه السلام) لما كان يقوم للاسلام قائمة فهو الذي أعطى للمسلمين هذه المنزلة والمكانة حيث أصبحوا قادة العالم وملوك الأرض فعن طريقة تسنمّ المسلمون العلياء وبلغوا ما بلغووا في القوة والمنعة. وبأمير المؤمنين (عليه السلام) أصبح للمسلمين فجرٌ جديد بعد ليل.

أما عن الأمر الثاني، فكان أميرالمؤمنين (عليه السلام) مدرسة لا تنفد معارفها ولا تنتهِ علومها. فقد أغترف في هذهِ المدرسة كل صديقٍ وعدو..

لازال صوت أميرالمؤمنين (عليه السلام) يلعلع في مسجد الكوفة: أسألوني قبل أن تفقدوني، وهو كلامه لم يقله إنسان قلبه ولم يقله إنسان بعده وليس أول على الشعور المسؤولية ازاء الأمة في هذهِ العبارة التي يفتح منها أميرالمؤمنين مدينة علم رسول اللّه، ويريد في المسلمين أن يفترقوا لكن هل فعل المسلمون ذلك.

لقد تحدث أميرالمؤمنين (عليه السلام) عن الامامة حديث الانسان للانسان وابتعد عن الكلمات المنمقة ومن زخرف القول، فكان صريحاً بليغاً اماماً وسيداً وقائدا.

الامامة امتداد الرسالة

الْحَمْدُ لِلّهِ النّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْباسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ.

نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسسْتَعِينُهُ عَلى رِعايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صادِعاً،[2] وَبِذِكْرِهِ ناطِقاً، فَأَدّى أَمِيناً، وَمَضى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينا رايَةَ

---

١ . خطبة رقم ٤.

٢ . صادعاً: فالقاً به جدران الباطل فهادِمَها.

الْحَقِّ: مَنْ تَقَدَّمَها مَرَقَ،[1] وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْها زَهَقَ،[2] وَمَنْ لَزِمَها لَحِقَ، دَلِيلُها مَكِيثٌ[3] الْكَلامِ، بَطِيءُ الْقِيامِ،[4] سَرِيعٌ إذا قامَ.[5]

معرفة الامام معرفة الحق

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثاقِ الْكِتابِ حَتّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ.

فَالْتَمِسُوا ذلِكَ مِنْ عِندِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُ كُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنطِقِهِمْ، وَظاهِرُ هُمْ عَنْ باطِنِهِمْ، لايُخالِفُونَ الدِّينَ، وَلايَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُو بَيْنَهُمْ شاهِدٌ صادِقٌ، وَصامِتٌ ناطِقٌ.[6]

الا فالزموا اهل البيت

انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ،[7] وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخرِجُوكُمْ مِنْ هُدىً، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدىً.

فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا،[8] وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا...[9]

أَيُّهَا النّاسُ خُذُوها عَنْ خاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: 'إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ ماتَ مِنّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلى مَنْ بَلِيَ مِنّا وَلَيْسَ بِبالٍ' فَلا تَقُولُوا بِمالا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فيما تُنْكِرُونَ...[10]

الامام معدن الحكمة ومنار الهداية

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ،[11] وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ،[1] وَمَوئِلُ[2] حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبالُ دِينِهِ. بِهِمْ أَقامَ انْحِناءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعادَ فَرائِصِهِ[3]،[4].

---

١ . مَرَقَ: خرج عن الدين.

٢ . زهق: اضمحلّ وهلك.

٣ . مَكيث: رَزين في قوله: لا يبادر به من غير رويّة.

٤ . بطي ء القيام: لا ينبعث للعمل بالطيش، وانّما يأخذ له عدة إتمامه.

٥ . الخطبة: ١٠٠- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٧:٩٣.

٦ . الخطبة: ٢٠٦- الاخبار الطوال: ص ١٥٥- كتاب صفين: ص ١٠٣. الخطبة: ١٤٧.

٧ . السَّمْت- بالفتح-: طريقهم او حالهم أو قصدهم.

٨ . لَبَدَ: كنصر: أقام، أي: إن أقاموا فأقيموا.

٩ . الخطبة: ٩٧- كتاب سليم بن قيس ص ١١٠- الكافي: ٢:٢٣٦.

١٠ . الخطبة: ٨٧- ربيع الابرار: باب العز والشرف للزمخشري.

١١ . اللجأ- محرّكة-: الملاذ وما تلجى ء وتعتصم به.

هُمْ دَعائِمُ الْإِسْلامِ، وَوَلائِجُ[5] الْاِعْتِصامِ، بِهِمْ عادَ الْحَقُّ اِلى نِصابِهِ،[6] وَانزاحَ[7] الْباطِلُ عَنْ مَقامِهِ، وَانقَطَعَ لِسانُهُ[8] عَنْ مَنْبَتِهِ.

عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِ عايَةٍ[9] وَرِعايَةٍ، لا عَقْلَ سَماعٍ وَرِوايَةٍ، فَإِنَّ رُواةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعاتَهُ قَلِيلٌ.[10]...

هُمْ أَساسُ الدِّينِ، وَعِمادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِي ءُ الْغالِي،[11] وَبِهِمْ يَلْحَقُ التّالِي، وَلَهُمْ خَصائِصُ حَقِّ الْوِلايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِراثَةُ، الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلى اَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلى مُنْتَقَلِهِ[12].

...'فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ'؟! 'وَأَنّى تُؤْفَكُونَ'!؟[13] وَالْاَعْلامُ[14] قائِمَةٌ! وَالايات واضِحَةٌ! وَالْمَنارُ[15] مَنصُوبَةٌ! فَأَيْنَ يُتاهُ بِكُمْ؟[16].

بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ[17] وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ[18] نَبِيِّكُمْ؟! وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، "وَأَعْلامُ الدِّينِ" وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ.

---

١ . العَيبة- بالفتح-: الوعاء.

٢ . المونل: المرجع.

٣ . الفرائص: جمع فريصة، وهي اللحمة التي بين الجنب والكتف لا تزال تُرْعَدُ من الدابة.

٤ . الخطبة: ٢- عيون الاخبار: ١:٣٢٦- مطالب السؤل لمحمد بن طلحة الشافعي.

٥ . ولائج: جمع وليجة، وهي: مايدخل فيه السائر اعتصاماً من مطر أو برد أو توقياً من مفترس.

٦ . نصاب الحق: أصله، والأصل في معنى النصاب مقبض السّكين، فكأنّ الحق نصل ينفصل عن مقبضه ويعود اليه.

٧ . انزاح: زال.

٨ . انقطع لسان الباطل عن منبته:- بكسر الباء-: أي عن اصله، مجاز عن بطلان حجّته وانخذاله عند هجوم جيش الحق عليه.

٩ . عقل الوعاية: حفظ في فهم. الرعاية: ملاحظة احكام الدين وتطبيق الأعمال عليها وهذا هو العلم بالدين.

١٠ . الخطبة ٢٣٩- الروضة من الكافي: ص ٣٨٦.

١١ . الغالي: المُبالغ، الذي يجاوز الحدّ بالإفراط.

١٢ . الخطبة: ٢- عيون الاخبار: ١:٣٢٦- المسترشد ص ٧٣ للطبري.

١٣ . تؤفكون: تُقلبون وتُصرفون- بالبناء للمجهول.

١٤ . الأعلام: الدلائل على الحقّ من معجزات ونحوها.

١٥ . المنار: جمع منارة.

١٦ . يُتاه بكم: من التيه بمعنى الضّلال والحَيْرة.

١٧ . تعمهون: تتحيّرون.

١٨ . عترة الرّجل: نسله ورَهْطه.

فَأنزِلُوهُمْ بِأحْسَنِ مَنازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَالهِيمِ العِطاشِ...[1].[2]

الائمة قوّام اللّه

...أيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أنَّهُمُ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنا؟ كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنا، أنْ رَفَعَنَا اللّهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأعْطانا وَحَرَمَهُمْ، وَأدْخَلَنا وَأخْرَجَهُمْ.

بِنا يُسْتَعْطَى الْهُدى، وَيُسْتَجْلَى العَمى، إنَّ الْأئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا في هذا الْبَطْنِ مِنْ هاشِمٍ: لاتَصْلُحُ عَلى سِواهُمْ، وَلاتَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.[3]

...قَدْ طَلَعَ طالِعٌ وَلَمَعَ لامِعٌ وَلاحَ[4] لائِحٌ وَاعْتَدَلَ مائِلٌ، وَاسْتَبْدَلَ اللّهُ بِقَوْمٍ قَوْماً، وَبِيَوْمٍ يَوْماً، وَانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ[5] انْتِظارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ. وَإنَّمَا الْأئِمَّةُ قُوّامُ اللّهِ عَلى خَلْقِهِ، وَعُرَفاؤُهُ عَلى عِبادِهِ، لايَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلاّمَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلايَدْخُلُ النّارَ اِلاّمَنْ أنْكَرَهُمْ وَأنْكَرُوهُ...[6].

...نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفُ[7] الْمَلِئكَةِ، وَمَعادنُ الْعِلْمِ، وَيَنابِيعُ الْحُكْمِ، ناصِرُنا وَمُحِبُّنا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنا وَمُبْغِضُنا يَنتَظرُ السَّطوَةَ.[8]

الائمة صنائع اللّه

...وَإنَّي لَمِنْ قَوْمٍ لا تَأْخُذُهُمْ فِي اللّه لَوْمَةُ لائِمٍ، سِيماهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلامُهُمْ كَلامُ الْأبْرارِ، عُمَّارُ[9] اللَّيْلِ وَمَنارُ النَّهارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُوْنَ سُنَنَ اللّهِ وسُنَنَ رَسُولِهِ، لا يَسْتَكْبِرُونَ وَلا يَعْلُونَ وَلا يَغُلُّونَ،[10] وَلا يُفْسِدُونَ.[11]

قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنانِ، وَأجْسادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.

...فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ[1]، فَإنّا صَنائِعُ[2] رَبِّنا وَالنّاسُ بَعْدُ صَنائِعُ لَنا...[3].

---

١ . ردّوهم ورُودَ الهيم العطاش: اي: هَلُمّوا الى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الهيم- اي الإبل العطشى- الى الماء.

٢ . الخطبة: ٨٧- ربيع الابرار باب العز والشرف للزمخشري.

٣ . الخطبة: ١٤٤- غرر الحكم: للآمدي.

٤ . لاح: بدا.

٥ . الغِيَر- بكسر ففتح-: صروف الحوادث وتقلّباتها.

٦ . الخطبة: ١٥٢- الكافي: ١:١٣٩- التوحيد: ص ٤١ للشيخ الصدوق.

٧ . مختَلف الملائكة:- بفتح اللام- محلّ اختلافهم اي ورود واحد منهم بعد الآخر، فيكون الثاني كأنّه خَلف للأوّل، وهكذا.

٨ . الخطبة: ١٠٩- العقد الفريد: ٤:٧٦.

٩ . عُمّار- جمع عامر-: اي يَعْمرُونه بالسّهر للفكر والعبادة.

١٠ . يَغُلّون: يخونون.

١١ . الخطبة: ١٩٢- كتاب اليقين: ص ١٩٦، للسيد ابن طاووس- الكافي: ٤:١٦٨- من لا يحضره الفقيه: ١:١٥٢.

...إنَّ أمْرَنا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لايَحْمِلُهُ إلاّ عَبْدٌ مُؤمِنٌ امْتَحَنَ اللّهُ قَلْبَهُ لِلْأيمان، وَلا يَعِي حَدِيثَنا إلاّ صُدُورٌ أمِنَةٌ وَأحْلامٌ[٤] رَزِينَةٌ...[٥]

...ألا إنَّ مَثَلَ ال مُحَمَّدٍ كَمَثَلِ نُجُمِ السَّماءِ: إذا خَوى نَجْمٌ[٦] طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأنَّكُمْ قَدْ تَكامَلَتْ مِنَ اللّهِ فِيكُمُ الصَّنائِعُ وَأراكُم ما كُنتُمْ تَأمُلُونَ.[٧]

نظام الامامة ينتهي الى العدل العالمي

ألا بِأبِي وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ أسْماؤُهُمْ فِي السَّماءِ مَعْرُوفَةٌ، وَفِي الْأرْضِ مَجْهُولَةٌ، ألا فَتَوَقَّعُوا مايَكُونُ مِنْ إدْبارِ أُمُورِكُمْ، وَانْقِطاعِ وُصَلِكُمْ، وَاسْتِعْمالِ صِغارِكُمْ، ذاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤمِنِ أهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ.
ذاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أعْظَمَ أجْراً مِنَ الْمُعْطِي، ذاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرابٍ، بَلْ مِنَ النَّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إحْراجٍ،[٨] ذلِكَ إذاعَضَّكُمُ الْبَلاءُ كَما يَعَضُّ الْقَتَبُ[٩] غارِبَ[١٠] الْبَعِيرِ، ما أطْوَلَ هذا الْعَناءَ، وَأبْعَدَ هذا الرَّجاءَ...[١١].

...إلْزَمُوا الْأرْضَ،[١٢] وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلاءِ، وَلا تُحَرِّكُوا بِأيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ هَوى أسِنَّتِكُمْ، وَلا تَسْتَعْجِلُوا بِمالَمْ يُعَجِّلْهُ اللّهُ لَكُمْ، فَإنَّهُ مَنْ مَّاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِراشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ "عَزَّوَجَلَّ" وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأهْلِ بَيْتِهِ ماتَ شَهِيداً، وَوَقَعَ أجْرُهُ عَلَى اللّهِ، واسْتَوْجَبَ ثَوابَ مانَوى مِنْ صالِحِ عَمَلِهِ، وَقامَتِ النِّيَّةُ مَقامَ إصْلاتِهِ[١٣] لِسَيْفِه، فَإنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأجَلاً.

---

١ . الرّمية: الصيد يرميه الصّائد: ومالت به الرّمية: خالفت قصده فاتبعها، مثل يضرب لمن اعوج غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه.

٢ . صنائع: جمع صنيعة، وصنيعة الملك: من يصطنعه لنفسه ويرفع قدره، وآل النبي أسراء احسان اللّه عليهم والناس أسراء فضلهم بعد ذلك.

٣ . الرسالة: ٢٨- الفتح: ٢:٩٦١ لابن اعثم الكوفي.

٤ . أحلام: عقول.

٥ . الخطبة: ١٨٩- الاعجاز والايجاز ص ٣٢.

٦ . خوى نجم: غاب.

٧ . الخطبة: ١٠٠- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٧:٩٣.

٨ . الإحراج: التضييق.

٩ . القتب- محركاً-: الإكاف كساء يُلقى على ظهر الدابة.

١٠ . الغارب: مابين العُنُق والسَّنام.

١١ . الخطبة: ١٨٧- كتاب صفين: لأبي الحسن المدائني.

١٢ . لزوم الأرض: كناية عن السكون. ينصحهم به عند عدم توفّر اسباب المغالبة، وينهاهم عن التعجّل بحمل السّلاح.

١٣ . إصلات السيف: سلّه.

انصار الامام القائم عند الظهور

فَإذا كانَ ذلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ، فَيَجْتَمِعُونَ إلَيْهِ كَما يَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ.[2]

...قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَها،[3] وَأَخَذَها بِجَمِيعِ أدَبِها: مِنَ الْإقْبالِ عَلَيْها، وَالْمَعْرِفَةِ بِها، وَالتَّفَرُّغِ لَها، فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُها، وَحاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْها، فَهُوَ مُغْتَرِبُ اذا اغْتَرَبَ الْإسْلامُ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ[4] ذَنَبِهِ، وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرانِهِ[5] بَقِيَّةٌ مِنْ بَقايا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلائِفِ أنبِيائِهِ[6].

يَعْطِفُ الْهَوى عَلَى الْهُدى إذا عَطَفُوا الْهُدى عَلَى الْهَوى، وَيَعْطِفُ الرَّأيَ عَلَى الْقُرْآنِ إذا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأيِ...

...ألا وَفي غَدٍ- وَسَيَأْتِي غَدٌ بِما لاتَعْرِفُونَ- يَأْخُذُ الْوالِي مِنْ غَيْرِها عُمّالَها عَلَى مَساوِي أعْمالِها، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أفالِيذَ[7] كَبِدِها، وَتُلْقِي إلَيْهِ سِلْماً مَقالِيدَها فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ، وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتابِ وَالسُّنَّةِ.[8]

...اللَّهُمَّ إنّا نَشْكُو إلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا، وَتَشَتُّتَ أهْوائِنا «**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ**[9]».[10]

العدل

العدل الإلهي

المرتفع عن ظلم عباده

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لاتُدْرِكُهُ الشَّواهِدُ، وَلاتَحْوِيهِ الْمَشاهِدُ، وَلاتَراهُ النَّواظِرُ، وَلاتَحْجُبُهُ السَّواتِرُ، الدّالِّ عَلى قِدَمِهِ حُدُوثُ خَلْقِهِ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلى وُجُودِهِ، وَبِاشْتِباهِهِمْ عَلى أنْ لاشِبْهَ لَهُ، الَّذِي صَدَقَ

---

١ . الخطبة: ١٩٠- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ١٣:١١٤.

٢ . غريب كلامه: ١.

٣ . جُنّة الحكمة: ما يحفظها على صاحبها من الزّهد والورع، واصل الجُنّة الوقاية، ومنه الدّرع والمجنّ، وما يُتّقى به.

٤ . عسيب الذّنب: أصله.

٥ . الجران- ككتاب-: مُقدَّمُ عُنُق البعير من المذبح إلى المَنْحر، والبعير أقلّ ما يكون نفعه عند بروكه، وإلصاق جرانه بالأرض كناية عن الضعف.

٦ . الخطبة: ١٨٢- عيون الحكم والمواعظ- النهاية: ٢:١٤٥ و ١٩٨- الامالي: ٣٦٢، للشيخ الصدوق.

٧ . أفاليذ: جمع أفلاذ، جمع فلذة: وهي القطعة من الذّهب والفضّة.

٨ . الخطبة: ١٣٨-بحارالانوار: ٨:٣٦١.

٩ . الأعراف: ٨٩.

١٠ . الرسالة: ١٥- كتاب صفين: ص ٢٣١، لنصر بن مزاحم- كتاب النصرة: ص ١٨٢ للشيخ المفيد- كتاب الجمل ص ١٦٥ للواقدي.

فِي مِيعادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبادِهِ، وَقامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ...[1] وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وَحَكَمٌ فَصَلَ...[2].

...الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ ماقَضى، وَعَلِمَ بِما يَمْضِي وَما مَضى...[3].

لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضاءً لازِماً،[4] وَقَدَراً[5] حاتِماً!؟[6] وَلَوْكانَ ذلِكَ كَذلِكَ لَبَطَلَ الثَّوابُ وَالْعِقابُ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ.

إِنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ أَمَرَ عِبادَهُ تَخْيِيرا، وَنَهاهُمْ تَحْذِيراً، وَكَلَّفَ يَسِيراً، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وَأَعْطى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، وَلَمْ يُرْسِلِ الأَنبِياءَ لَعِباً، وَلَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبادِ عَبَثاً، وَلا خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً «**ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ**[7]».[8]

نزول البلايا، ثمرة الاعمال السيئة

...إِنَّ اللّهَ يَبْتَلِي عِبادَهُ- عِنْدَ الأَعْمالِ السَّيِّئَةِ- بِنَقْصِ الثَّمَراتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكاتِ، وَإِغْلاقِ خَزائِنِ الْخَيْراتِ، لِيَتُوبَ تائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ...[9]... وَأَيْمُ اللّهِ ماكانَ قَوْمٌ قَطُّ قَطُّ فِي غَضِّ[10] نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزالَ عَنْهُمْ إِلاّ بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوها[11]، لأَنَّ اللّهَ لَيْسَ 'بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ'...[12]

---

١ . الخطبة: ١٨٥- الاحتجاج للطبرسي: ١:٣٠٥- الامالي: ص ١٩٢ لابي طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسيني المتوفى ٤٢٤ هـ.

٢ . الخطبة: ٢١٤، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٩:١١.

٣ . الخطبة: ١٩١، غرر الحكم للامدي.

٤ . قضاءً لازماً: اي حكماً وأمراً قطعيّاً.

٥ . القدَر: ايجاد اللّه للأشياء عند وجود اسبابها، ولا شي ء من القضاء والقدر منهما يضطر العبد لفعل من أفعاله.

٦ . الحاتم: الذي لا مفر من وقوعه حتماً.

٧ . سورة ص: ٢٧.

٨ . قصار الحكم: ٧٨.

٩ . الخطبة: ١٤٣- اعلام النبوة: للديلمي- النهاية: ١:١٣٧، لابن الأثير- مستدرك الوسائل: ١:٤٣٩.

١٠ . الغضّ: الناضر الحسن، الناعم.

١١ . اجترح الذنب: اكتسبه وارتكبه.

١٢ . الخطبة: ١٧٨- الخصال للشيخ الصدوق: ٢:٢١٦٣- الجمل: ص ٤٦ للشيخ المفيد.

تقدير الارزاق في ظلال العدل

... وَقَدَّرَ الْأَرْزاقَ فَكَثَّرَها وَقَلَّلَها، وَقَسَّمَها عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ، فَعَدَلَ فِيها لِيَبْتَلِي مَنْ أرادَ بِمَيْسُورِها وَمَعْسُورِها، وَلِيَخْتَبِرَ بِذلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّها وَفَقِيرِها...[1] وَلَيْسَ شَيْءٌ أدْعى إلى إلى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إقامَةٍ «عَلى ظُلْمٍ، فَإنَّ اللّهَ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ، وَهُوَ لِلظّالِمِينَ بِالْمِرْصادِ»...[2]

إذا رَجَفَتِ الرّاجِفَةُ،[3] وَحَقَّتْ[4] بِجَلائِلِها الْقِيامَةُ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ[5] أهْلُهُ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ وَبِكُلِّ مُطاعٍ أهْلُ طاعَتِهِ، فَلَمْ يَجْرِ[6] فِي عَدْلِهِ وَقَسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بُصَرٍ فِي الْهَواءِ، وَلا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الأرْضِ إلاّ بِحَقِّهِ، فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذاكَ داحِضَةٍ، وَعَلائِقِ عُذْرٍ مُنقَطِعَةٍ...[7].

المعاد "يوم القيامة"

المعاد

يتكلم عليٌ أميرالمؤمنين (عليه السلام) عن المعاد وكأن يراه، لانه هو القائل لو كُشف لي الغطاء مازدادتُ يقيناً.

فهو يصف لنا نار جهنم كأنه يراها: وأتقوا ناراً حَرُّهَا شديدٌ وقعرها بعيدٌ، وحليتها حديدٌ، وشرابُهَا صديد.[8]

ويصف لنا النفخ في الصور: وينفخُ في الصُور، فتزهقُ كُلُّ مهجة وتبكُمْ كُلّ لهجة، وتذلُّ الشُمُ الشوامخ والصَمُّ الروامِخُ فيصيرُ صلدُها شراباً رقْرَقاً ومعقدُها قاعاً، فلا شفيعٌ شفِعُ، ولا حيمٌ يِيَدْمَعُ، ولا مَعذِرةٌ تَدْمَع[9].

فوراء هذا الوصف احساسٌ عميق نشعر وكأنّ الامام يسمع صوت النفخة فيصفه لنا وصف السامع الناظر إليه. وهدفه في هذا الوصف هو دفع البشرية نحو الصلاح والهداية، لعله ترتعد إلى كلماته النفوس فتطهر.

فغاية أميرالمؤمنين في ذكر القيامة هو تهذيب النفوس يقول في هذا المجال: وأعلَمُوا أنّه ليس لهذا الجلد الرقيق صبرٌ على النار، فأرحموا نفوسَكُم، فإنَّكُمْ قد جربتُمُوها في مصائب الدُّنيا، فَرَأيتُم

---

١ . الخطبة: ٩١- التوحيد: ص ٣٤ للشيخ الصدوق- فرج المهموم: ص ٥٦ للسيد ابن طاووس.

٢ . الكتاب: ٥٣، تحف العقول: ص ١٢٦- دعائم الاسلام: ١:٣٥٠.

٣ . الرّاجفة: النفخة الأولى حين تهب ريح الفناء فتنسف الأرض نسفاً.

٤ . حقّت القيامة: وقعت وثبتت بعظائمها .

٥ . المنسَك- بفتح الميم والسين-: العبادة أو مكانها.

٦ . لم يُجزَ- من الجزاء-: مبنيّ للمجهول، ونائب فاعله: خَرقُ بصر و هَمْس قدم، أي لا تجازى لمحة البصر تنفذ في الهواء ولا همسة القدم في الأرض إلّا بحق.

٧ . الخطبة: ٢٢٣، غرر الحكم ص ٢٣٢- الطراز: ٢:٢٧٢ للسيد اليماني.

٨ . خطبة: ١١٦.

٩ . خطبة: ١٩٠.

جَزَعَ أحدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تُدميه، والرمضاء تحرقه، فكيف إذا كان بين طابقين في نار ضجيع حَجَرٍ، وقرينَ شيطانٍ، أعلِمتُم أن مالِكاً إذا غضب على النار حَطَمَ بعضُهَا بَعْضاً لِغضبه، وإذا زَجَرَها توثَّبَتْ بين أبوابها جَزَعاً في زجرته.[1]

وهكذا يأخذنا أمير المؤمنين أي عالم سيستقبلنا في يوم من الايام يقرب إلينا حوادثه ويصور لنا ما يجري فيه. انه يريد منّا أن نتغلّب على أهواءنا وان لا تكون الدنيا كل همنا.

الموت، سنّة كونية

الْحَمْدُ للّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلاً عَلى آلائِهِ وَعَظَمَتِهِ.

عِبادَ اللّهِ، إنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْباقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْماضِينَ، لايَعُودُ ما قَدْ وَلّى مِنْهُ، وَلا يَبْقى سَرْمَداً ما فِيهِ، آخِرُ فَعالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَسابِقَةٌ[2] أُمُورُهُ، مُتَظاهِرَةٌ أَعْلامُهُ[3].

فَكَأَنَّكُمْ بِالسّاعَةِ[4] تَحْدُوكُمْ حَدْوَالزّاجِرِ[5] بِشَوْلِهِ[6]، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ في الظُّلُماتِ، وَارْتَبَكَ في الْهَلَكاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَياطِينُهُ في طُغْيانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّيءَ أَعْمالِهِ، فَالْجَنَّةُ غايَةُ السّابِقِينَ، وَالنّارُ غايَةُ الْمُفَرِّطِينَ[7].

اعْلَمُوا عِبادَ اللّهِ، أنَّ التَّقْوى دارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لايَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلايُحْرِزُ[8] مَنْ لَجَأَ إلَيْهِ. أَلا وَبِالتَّقْوى تُقْطَعُ حُمَةُ[9] الْخَطايا، وَبِاليَقِينِ تُدْرَكُ الْغايَةُ الْقُصْوى.

الموت يأتي بغتة

عِبادَ اللّهِ، أَللّهَ اللّهَ في أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَبِّها إلَيْكُمْ، فَإنَّ اللّهَ قَدْ أَوْضَحَ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنارَ طُرُقَهُ، فَشِقْوَةٌ لازِمَةٌ، أَوْسَعادَةٌ دائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا في أَيّامِ[10] الْفَناءِ لِأَيّامِ الْبَقاءِ، قَدْ دُلِلْتُمْ عَلى الزّادِ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ[11]، وَحُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ، فَإنَّما أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لاتَدْرُونَ مَتى تُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ.

---

١ . خطبة: ١٧٨.

٢ . متشابهة اموره: لأنّه- كما كان من قبل- يرفع ويضع، ويغني ويفقر، ويعز ويذلّ- فكذلك هو الآن أفعاله متشابهة، وروي |متسابقة| اي كأن كلّ منها يطلب النزول قبل الآخر، وكأنّها خيل تتسابق في مضمار.

٣ . متظاهرة أعلامه: اي دلالته على سجيّته التي عامل الناس بها قديماً وحديثاً.

٤ . السّاعة: القيامة، وحَدْوُها: سوقها وحثّها لأهل الدنيا على المسير للوصول اليها.

٥ . زاجر الإبل: سائقها.

٦ . الشَوْل- بالفتح-: جمع شائلة، وهي من النوق ما مضى عليها من وضعها سبعة اشهر فخفّ لبنها وارتفع ضرعها.

٧ . الخطبة: ١٥٧ الكافي: ١: ٦٠.

٨ . لا يُحْرز: لا يحفظ.

٩ . الحُمَة- بضم ففتح-: في الأصل إبرة الزّنبور والعقرب ونحوها تلسع بها، والمراد هنا سطوة الخطايا على النفس.

١٠ . أيّام الفناء: يريد أيّام الدنيا.

ألافَما يَصنَعُ بِالدُّنْيا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ؟ وَما يَصنَعُ بِالْمالِ مَنْ عَمّا قَلِيلٍ يُسْلُبُهُ، وَتَبْقى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ[2] وَحِسابُهُ؟![3]

استعدّوا للموت، حتى تستعدّوا للحياة

فَاحْذَرُوا عِبادَ اللّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ: بِخَيْرٍ لايَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا، أَوْ شَرٍّ لايَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا.

فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عامِلِها، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النّارِ مِنْ عامِلِها؟ وَأَنْتُمْ طُرَداءُ الْمَوْتِ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُم مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَمَهُوَ أَلْزَمُ لَكُم مِنْ ظِلِّكُمْ!! الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَواصِيكُمْ،[4] وَالدُّنْيا تُطْوى مِنْ خَلْفِكُمْ.[5]

فَاتَّقُوا اللّهَ عِبادَاللّهِ، وَبادِرُوا اجالَكُمْ بِاَعْمالِكُمْ،[6] وَابْتاعُوا[7] ما يَبْقى لَكُمْ بِما يَزُولُ عَنكُمْ، وَتَرَحَّلُوا[8] فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ،[9] وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ،[10] وَكُونوا قَوماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدارٍ فَااسْتَبْدَلُوا،فَإِنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى.[11]

وَمابَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النّارِ إِلاَّ الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ وَإِنَّ غايَةً تَنقُصُهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقَصْرِ الْمُدَّةِ وَإِنَّ غائِباً يَحْدُوهُ[12].

الْجَدِيدان، اللَّيْلُ وَالنَّهارُ لَحَرِيٌّ[13] بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ[1]، وإِنَّ قادِماً يَقْدَمُ بِالْفَوزِ أَوِ الشَّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ[2].

---

١ . المراد بالظعن المأمور به هاهنا السّير الى السّعادة بالأعمال الصّالحة، وهذا ما حثّنا اللّه عليه.

٢ . تَبِعَتُهُ: ما يتعلّق به من حق الغيرفيه.

٣ . الخطبة: ١٥٧ الكافي: ١:٦٠.

٤ . النّاصي- جمع ناصية-: مُقدَّمُ شعر الرّأس.

٥ . الكتاب: ٢٧، المجالس: ص ١٣٧ للشيخ المفيد- الامالي: ١:٢٤ للشيخ الطوسي- بشارة المصطفى: ص ٦٢، للطبري.

٦ . بادروا آجالكم باعمالكم اي: سابقوها وعاجلوها بها.

٧ . ابتاعوا: اشتروا ما يبقى من النّعيم الأبدي، بما يفنى من لذّة الحياة الدّنيا وشهواتها المنقضية.

٨ . الترحل: الانتقال،والمراد هنا لازمه وهو: إعداد الزّاد الذي لابدّ منه للرّاحل.

٩ . جُدَّبكم: أي حثثتم وأزعجتم إلى الرّحيل.

١٠ . أظلّكم: قرب منكم من كأنّ له ظلاً قد ألقاه عليكم.

١١ . سدىً: مهملين.

١٢ . يحدوه: يسوقه، والجديدان: الليل والنهار.

١٣ . حريّ: جدير.

اعْلَمُوا عِبادَ اللّهِ، إنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً[3] مِنْ أنْفُسِكُمْ، وَعُيُوناً مِنْ جَوارِحِكُمْ، وَحُفّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أعْمالَكُمْ، وَعَدَدَ أنْفاسِكُمْ، لاتَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ داجٍ، وَلايُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بابٌ ذُورِ تاجٍ،[4] وَإنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.
يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِما فِيهِ، وَيَجِي ءُ الْغَدُ لاحِقاً بِهِ، فَكَأنَّ كُلَّ امْرِيءٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ،[5] وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ، فَيالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَمَفْرَدِ غُرْبَةٍ! وَكَأنَّ الصَّيْحَةَ[6] قَدْ أتَتْكُمْ، وَالسّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُم، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضاءِ[7] فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطارُ، وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ[8] الْعِشارِ،[9] وَيُنفَخُ فِي الصّوُرِ، فَتَزْهِقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَذِلُّ الشُّمُّ[10] الشَّوامِخُ،[11] وَالصُّمُّ[12] الرَّواسِخُ[13] فَيَصِيرُ صَلْدُها[14] سَراباً[15] رَقْرَقاً،[16] وَمَعْهَدُها[1] قاعاً[2] سَمْلَقاً،[3] فَلا شَفِيعٌ يَشْفَعُ، وَلاحَمِيمٌ يَدْفَعُ، وَلا مَعْذِرَةٌ تَنْفَعُ.[4]

---

١ . الأوبة:الرَجعة.

٢ . الخطبة: ٦٤، تذكرة الخواص: ص ١٤٥.

٣ . الرَّصَد: الرقيب، ويريد به هنا رقيب الذمة وواعظ السرّ.

٤ . الرّتاج- ككتاب-: الباب العظيم اذا كان محكم الغلق.

٥ . منزل وحدته: هو القبر.

٦ . المراد بالصيحة هنا الصيحة الثانية.

٧ . الخطبة: ١٥٧ الكافي: ١:٦٠.

٨ . الصّروم- جمع صِرمة بالكسر- وهي قطعة من الابل فوق العشرة الى تسعة عشر او فوق العشرين الى الثلاثين او الأربعين أو الخمسين.

٩ . العِشار- جمع عُشراء بضم ففتح كنُفساء- وهي الناقة، مضى لحملها عشرة أشهر، وتعطيل جماعات الإبل: اهمالها من الرعي. والمراد انّ يوم القيامة تهمل فيه نفائس الأموال لاشتغال كل شخص بنجاة نفسه.

١٠ . الشُّم:- جمع أشم- أي رفيع، والمراد الجبال العالية.

١١ . الشّامخ: المتسامي في الارتفاع، وذلّها: تدكدكها.

١٢ . الصُّم:- جمع أصمّ- وهو الصُّلب المُصْمَت، أي الّذي لا تجويف فيه.

١٣ . الرّاسخ: الثابت.

١٤ . الصَّلد: الصُّلب الأملس.

١٥ . السّراب: ما يخيله ضوء الشّمس كالماء خصوصاً في الأراضي السَّبِخَة وليس بما.

١٦ . الرَّقْرَقْ:- كجعفر- المضطرب.

حساب يوم القيامة ينتظركم

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْجَرَّ بْتُمُوها في مَصائِبِ الدُّنْيا.

أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُم مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضاءِ تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إذا كانَ بَيْنَ طابَقَيْنِ مِنْ نارٍ ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينَ شَيْطانٍ؟! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مالِكاً[٥] إذا غَضِبَ عَلَى النّارِ حَطَمَ بَعْضُها بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وَإذا زَجَرَها تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوابِها جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ؟!...

فَاللّهَ اللّهَ، مَعْشَرَ الْعِبادِ، وَانْتُمْ سالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيْقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكاكِ رِقابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهائِنُها[٦].

أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسادِكُمْ تَجُودُوا بِها عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلا تَبْخَلُوا بِها عَنْها، فَقَدْ قالَ اللّهُ سُبْحانَهُ: «**إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ**»[٧] وَقالَ تَعالى: «**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**»[٨].

«**فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُم مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُم مِنْ قِلٍّ، اسْتَنصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**»[٩]. «**وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزائِنُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**»[١٠]. وَإِنَّما أَرادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ[١١] أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً.

فَبادِرُوا بِأَعْمالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرانِ اللّهِ فِي دارِهِ، رافِقَ بِهِمْ رُسُلُهُ، وَأَزارَهُم مَلائِكَتَهُ، وَأَكْرَمَ أَسْماعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ[١] نارٍ أَبَداً، وَصانَ أَجْسادَهُمْ أَنْ تَلْقى لُغُوباً[٢] وَنَصَباً «**ذٰلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ، وَاللّهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ**»[٣].

---

١ . معهدها: المحلّ الذي كان يعهد وجودها فيه.

٢ . القاع: ما اطمأنّ من الأرض.

٣ . السَّمْلق:- كجَعْفَر-، الصَفْصَفْ المستوى: أي تُنْسَفْ تلك الجبال ويصير مكانها قاعا صفصفاً: أي مستوياً.

٤ . الخطبة: ١٩٥، بحارالأنوار: ٧: ٣١٤.

٥ . مالك: هو الموكّل بالجحيم.

٦ . عَلِقَ الرَهن-كفرح-: استحقّه صاحب الحقّ، وذلك إذا لم يكن فكاكه في الوقت المشروط.

٧ . سورة محمد (ص) ٧.

٨ . سورة الحديد: ١١.

٩ . سورة الفتح: ٤.

١٠ . سورة المنافقين: ٧.

١١ . يَبلوكم: يختبركم.

أقُولُ ماتَسْمَعُونَ، وَاللّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبُنا وَنِعْمَ الْوَكيلُ[٤].

محاسن الاخلاق

الاخلاق

وانما بعثت لا تمم مكارم الأخلاق ذاك قول رسول اللّه صلى الله عليه و آله، اما قول علي أميرالمؤمنين (عليه السلام). ولا قرين لحسن الخلق.[٥]

وأكرم الحسب حسن الخلق[٦].

فكلام أميرالمؤمنين هو كلام رسول اللّه وكلام رسول اللّه هو الوحي المنزل في السماء 'إن هو إلّا وحى يوحى'. ولما كان نهج البلاغة منهاجٌ لبناء الانسان فان فيه الكثير من القواعد الأخلاقية التي يجب الألتزام بها والتمسك بإهدا بها لانها طريق سعادة الانسان ليس في الدُنيا وحسب بل وفي الآخرة أيضاً.

عندما نتصفح نهج البلاغة نلتقي بهذهِ الروائع الخالدة.

إذا قَدَرْت على عَدُوِّك فاجْعَل العَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقدرة عليه[٧].

فأفضل الأخلاق هو العفو عنه المقدرة. ويقول أميرالمؤمنين في الرذائل وآثارها الاجتماعية والنفسية والاقتصادية البخلُ عارٌ، والجُبْنُ منقصة، والفقر يُخْرِسُ الفَطِنَ عن حُجّتهِ والمُقلُّ غريبٌ في بلدتِهِ، والفجرُ آفةٌ، والصَّبُّ شجاعَةٌ والزُهْدُ ثروةٌ، والوَرَعُ جُنّةٌ[٨] وعن أم الرذائل وأى الأخلاق الذميمة يقول الامام البخلُ جَامع لمساوئ العُيوب وهو زمامٌ يُقادُ به الى كُلِّ سوء.[٩]

ويسخف الامام أميرالمؤمنين (عليه السلام) افتخار الانسان بنفسه يقول الامام: ما لابن آدمَ والفَخْر، أولُهُ نطفَةٌ، وآخِرَهُ جيفةٌ، ولا يَرزُقُ نفسَهُ ولا يَدْفعُ حنفه[١٠].

وحديث الاخلاق عند أميرالمؤمنين (عليه السلام) هو حديث الأسود والأبيض فهو يتحدث عن الفضائل كما يتحدث عن المساوى، يطلب من الناس التجلّي بالصفات الحميدة والابتعاد عن الرذائل. يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام):

---

١ . الحَسيس: الصوت الخفيّ.

٢ . لغِبَ: كسمع ومنع وكرم- لغْباً ولغوباً: أعيي أشدّ الإعياء، والنّصَب: التّعب أيضاً.

٣ . سورة الحديد: ٢١.

٤ . الخطبة: ١٨٣ ربيع الابرار للزمخشري: ١:٥٣- النهاية: ٥:٢٩٩، لابن الأثير- تفسير البرهان: ١:٩ للسيد البحراني.

٥ . الكلمات القصار: ١١٣.

٦ . الكلمات القصار: ٣٨.

٧ . الكلمات القصار: ١٠.

٨ . الكلمات القصار: ٣.

٩ . الكلمات القصار: ٣٧٨.

١٠ . الكلمات القصار: ٤٥٤.

أزجُر المُسي ءَ بثوابِ المُحسن[1].

ويقول أيضاً: احصدِ الشر من صدر غيرك بقلعهِ في صداك. ثم يقول لأحد أصحابه: يا كميل مُر أهلك أن يَروحوا في كسب المكارم ويُدلجوا في حاجة من هو نائم[2].

تهذيب الأخلاق، الحجر الاساس في حياة الانسان

عِبادَاللَّهِ، إنَّ مِنْ أحَبَّ عِبادِاللَّهِ إلَيْهِ عَبْداً أعانَهُ اللَّهُ عَلى نَفْسِهِ، فَاسْتَشْعَرَ[3] الْحُزْنَ، وَتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ، فَزَهَرَ مِصْباحُ الْهُدى[4] فِي قَلْبِهِ، وَأعَدَّ الْقِرى[5] لِيَوْمِهِ النّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ على نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ: نَظَرَ فَأبْصَرَ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وَارْتَوى مِنْ عَذْبٍ فُراتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَواردُهُ فَشَرِبَ نَهَلاً،[6] وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً.[7]

قَدْ خَلَعَ سَرابِيلَ الشَّهَواتِ، وَتَخَلّى مِنَ الْهُمُومِ إلاّ هَمّاً واحِداً انْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمى، وَمُشارَكَةِ أهْلِ الْهَوى، وَصارَ مِنْ مَفاتِيحِ أبْوابِ الْهُدى، وَمَغالِيقِ أبْوابِ الرَّدى قَد أبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنارَهُ، وَقَطَعَ غِمارَهُ،[8] وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرى بِأوْثَقِها، وَمِنَ الْحِبالِ بِأمْتَنِها.

فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلّهِ سُبْحانَهُ. فِي أرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إصْدارِ كُلِّ واردٍ عَلَيْهِ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إلى أصْلِهِ، مِصْباحُ ظُلُماتٍ، كَشّافُ عَشَواتٍ،[9] مِفْتاحُ مُبْهَماتٍ، دَفّاعُ مُعْضِلاتٍ، دَلِيلُ فَلَواتٍ[10]، يَقُولُ فَيُفْهِمُ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ، قَدْ أخْلَصَ لِلّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ...[11]

عليكم انفسكم

فاتقوا اللّه عباد اللّه! وبادروا آجالكم باعمالكم،[12] وابتاعوا[1] ما يبقى لكم، بما يزول عنكم... وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا وعلموا انّ الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فَإنَّ اللَّهَ سُبْحانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ

---

١ . الكلمات القصار: ١٧٧.

٢ . الكلمات القصار: ٢٥٧.

٣ . استشعر: لبس الشعار؛ وهو مايلي البدن من اللباس وتجلبب: لبس الجلباب وهو مايكون فوق جميع الثياب.

٤ . زهر مصباح الهدى: تلألأ وأضاء.

٥ . القِرى- بالكسر- مايُهيأ للضيف، وهو هنا العمل الصالح يهيؤه للقاء الموت وحلول الأجل.

٦ . النهل: اوّل الشرب والمراد أخذ حظاً لا يحتاج معه الى العمل، وهو الشرب الثاني.

٧ . الجَدَد- بالتحريك- الأرض الغليظة،اي الصّلبة المستوية، ومثلها يسهل السير فيه.

٨ . الغِمار: جمع غمر- بالفتح- وهو معظم البحر، والمراد أنه عبر بحار المهالك الى سواحل النجاة.

٩ . عشوات: جمع عشوة- بالحركات الثلاث- وهي الأمر الملتبس.

١٠ . الفلوات: جمع فلاة، وهي الصحراء الواسعة، مجاز عن مجالات العقول في الوصول الى الحقائق.

١١ . الخطبة: ٨٧ ربيع الابرار: باب العز والشرف للزمخشري.

١٢ . بادروا آجالكم باعمالكم أي: سابقوها وعاجلوها بها.

عَبَثاً، وَلَمْ يَترُكْكُمْ سُدًى...[٢] «فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيا ما تَحْرُزُونَ[٣] بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا»، فَاتَّقى عَبْدٌ مربَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطانَ مُوَكَّلٌ بِهِ، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَها، وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَها[٤]، [٥].

المغبون من غبن نفسه

فَاللَّهَ اللَّهَ أَيُّهَا النّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتابِهِ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ... فَاسْتَدْرِكُوْا بَقِيَّةَ أَيّامِكُمْ، وَاصبروُا لَها أَنفُسَكُمْ[٦]. فَإِنَّها قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيّامِ الَّتِي تَكونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ، وَالتَّشاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ...

عِبادَاللَّهِ، إِنَّ أَنصَحَ الناس لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصاهُمْ لِرَبِّهِ، وَالْمَغْبُونُ[٧] مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ، والْمَغْبُوطُ[٨] مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَن انْخَدَعَ لِهَواهُ "وَغُرُورِهِ". وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيَر الرِّياءِ[٩] شِرْكٌ، وَمُجالَسَةَ أَهْلِ الْهَوى مَنساةٌ لِلْإِيمانِ،[١٠] وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطانِ[١١].

جانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجانِبٌ لِلْإِيمانِ.

الصّادِقُ عَلى شَفا مَنجاةٍ وَكَرامَةٍ، وَالْكاذِبُ عَلى شَرَفِ مَهْواةٍ وَمَهانَةٍ. وَلاتَحِ اسَدوُا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمانَ كَما تَأْكُلُ النّارُ الْحَطَبَ، وَلا تَباغضُوا فَإِنَّها الْحالِقَةُ.[١٢] وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ، فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصاحِبُهُ مَغْرُورٌ.[١]

---

١ . ابتاعوا: اشتروا ما يبقى من النعيم الأبدي بما يفنى من لذة الحياة الدّنيا وشهواتها المنقضية.

٢ . سُدى: مهملين.

٣ . ما تحرزون به انفسكم أي: تحفظونها به.

٤ . يسوّفها: يؤجّلها ويؤخرها.

٥ . الخطبة: ٦٤ تذكرة الخواص ص ١٤٥ للسبط ابن الجوزي.

٦ . اصبروا أنفسكم: إجعلوا لأنفسكم صبراً فيها.

٧ . المغبون:المخدوع.

٨ . المغبوط: المستحق لتطلع النفوس إليه والرغبة في نيل مثل نعمته.

٩ . الرياء: أن تعمل ليراك الناس، وقلبك غير راغب فيه.

١٠ . منساة للايمان: موضع لنسيانه، وداعية للذهول عنه.

١١ . محضرة للشيطان مكان لحضوره، وداع له.

١٢ . فانّها أي: المباغضة، الحالقة أي الماحية لكل خير وبركة.

اصلاح النفس قبل اصلاح الغير

يا أيُّهَا النّاسُ، طُوبى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النّاسِ، وَطُوبى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَكَلَ قُوتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطاعَةِ رَبِّهِ، وَبَكى عَلى خَطِيئَتِه، فَكانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغلٍ، وَالنّاسُ مِنْهُ فِي راحَةٍ[1].

يا عَبْدَاللهِ لاتَعْجَلْ في عَيْبِ أحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلاتَأْمَنْ عَلى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِما يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شاغِلاً لَهُ عَلى مُعافاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ[2].

احفظوا لسانكم

أيُّهَا النّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدادَ طَرِيقٍ فَلايَسْمَعَنَّ فِيهِ أقاوِيلَ الرِّجالِ، أما إنَّهُ قَدْيَرْمِي الرّامِي وَتُخْطِي ءُ السِّهامُ، وَيُحِيْلُ الكَلامُ،[4] وَباطِلُ ذلِكَ يَبُورُ، وَاللّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ.[5]

...أما - وَ شَرُّالْقَوْلِ الْكَذِبُ - إنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ،[6] وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ...[7] ألا إنَّ اللِّسانَ بَضْعَةٌ[8] مِنَ الْإنْسانِ، فَلايُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إذا امْتَنَعَ، وَلا يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إذا اتَّسَعَ...[9] وَاجْعَلُوا اللِّسانَ واحِداً وَلْيَخْتَزِنِ الرَّجُلُ لِسانَهُ،[10] فَإنَّ هذا اللِّسانَ جَمُوحٌ[11] بِصاحِبِهِ، وَاللّهِ ما أرى عَبْدًا يَتَّقِي تَقْوى تَنْفَعُهُ حَتّى يَخْتَزِنَ لِسانَهُ، وَإنَّ لِسانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَراءِ قَلْبِهِ،[12] وَإنَّ قَلْبَ الْمُنافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسانِهِ. لِأنَّ الْمُؤْمِنَ إذا أرادَ أنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ، فَإنْ كانَ خَيْراً أبْداهُ، وَإنْ كانَ شَرًّ اواراهُ. وَإنَّ الْمُنافِقَ يَتَكَلَّمُ بِما أتى عَلى لِسانِهِ، لايَدْرِي ماذالَهُ وَماذا عَلَيْهِ وَقَدْ قالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: "لايَسْتَقِيمُ إيْمانُ عَبْدٍ حَتّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلايَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتّى يَسْتَقِيمَ

---

١ . الخطبة: ٨٦- المجالس: ص ١٢٠ للشيخ المفيد- من لا يحضره الفقيه: ١:١٣٢.

٢ . الخطبة: ١٧٦- الكافي: ٢:٤٤٣- امالي الصدوق: ص ١٥٣.

٣ . الخطبة: ١٤٠- غرر الحكم: ص ١٣٥ و ص ٣٥٩.

٤ . يُحيل: يتغيّر عن وجه الحق.

٥ . الخطبة: ١٤١- الخصال: ١:١١٠، للشيخ الصدوق.

٦ . يُلحف: أي يلح.

٧ . الخطبة ٨٤-عيون الاخبار: ١:١٦٤ و ٣:١٠، لابن قتيبة- العقد الفريد: ٢:٢٨٧.

٨ . بضعة: قطعة.

٩ . الخطبة: ٢٣٣ الروضة من الكافي: ص ٣٩٦.

١٠ . ليخزن: كينصر- اي ليحفظ لسانه.

١١ . الجموح: من جمح الفرس إذا غلب فارسه فيوشك أن يطرح به في مهلكة فيرديه.

١٢ . لسان المؤمن من وراء قلبه: لسان المؤمن تابع لاعتقاده، لا يقول إلّا ما يعتقد.

لِسانُهُ فَمَن اسْتَطاعَ مِنْكُمْ أنْ يَلْقَى اللّهَ سُبْحانَهُ وَهُوَ نَقِيٌّ الرّاحَةِ مِنْ دِماءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسانِ مِنْ أعْراضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ.[1]

اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي ما أنْتَ أعْلَمُ بِهِ مِنّي، فَإنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي ما وَأَيْتُ[2] مِنْ نَفْسِي نَفْسِي وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفاءً عِنْدِي اللّهُمَّ اغْفِرْلِي ما تَقَرَّبْتُ بِهِ إلَيْكَ "بِلِسانِي" ثُمَّ خالَفَهُ قَلْبِي، اللّهُمَّ اغْفِرْلِي رَمَزاتِ الْألْحاظِ،[3] وَسَقَطاتِ الْألْفاظِ،[4] وَشَهَواتِ الْجَنانِ،[5] وَهَفَواتِ اللِّسانِ[6]،[7].

محاسبة النفس وتهذيبها

عِبادَاللّهِ، زِنُوا أنفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ تُوزَنُوا، وَحاسِبُوها مِنْ قَبْلِ أنْ تُحاسَبُوا، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِناقِ، وَانْقادُوا قَبْلَ عُنْفِ[8] السِّياقِ، وَاعْلَمُوا أنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ[9] عَلى نَفْسِهِ حَتّى يُكُونَ لَهُ مِنْها واعِظٌ وَزاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِها زاجِرٌ وَلا واعِظٌ...[10].

فَحاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإنَّ غَيْرَها مِنَ الْأنفُسِ لَها حَسِيبٌ غَيْرُكَ.[11]

رَحِمَ اللّهُ عَبْداً سَمِعَ حُكْماً[12] فَوَعى، وَدُعِيَ إلى رَشادٍ فَدَنا،[13] وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ[14] هادٍ فَنَجا راقَبَ رَبَّهُ، وَخافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خالِصاً، وَعَمِلَ صالِحاً اكْتَسَبَ مَذْخُوراً،[1] وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً، رَمى غَرَضاً،

---

١ . الخطبة: ١٧٦ الكافي: ٢:٤٤٣- امالي الصدوق: ص ١٥٣.

٢ . وأيت: وعدت، وَأى- كوَعَى- وَعَدَ وضَمَنَ.

٣ . رَمَزات الألحاظ: الإشارة بها، والألحاظ جمع لحظ، وهو باطن العين، او مؤخّر العين.

٤ . سقطات الألفاظ:لغوها.

٥ . شَهوات الجنان: القلب، واللّب، وشهواته: ما يكون من ميل منه إلى غير الفضيلة.

٦ . هفوات اللسان: زلّاته.

٧ . الخطبة: ٧٨ المائة المختارة: للجاحظ- المناقب:ص ٢٧٢ للخوارزمي.

٨ . العنف: ضد الرفق، ويقال عَنُفَ عليه وَعَنُفَ به- من باب كرم فيهما، واصل العنيف الذي لا رفق له بركوب الخيل وجمعه عُنُف، عُنُف، والسياق هنا مصدر ساق- يسوق.

٩ . من لم يُعَن على نفسه- مبني للمجهول- أي: من لم يساعده اللّه على نفسه حتىً يكون لها من وجدانها مُنَبّهٌ، لم ينفعه تنبيه غيره.

١٠ . الخطبة: ٩٠ النهاية: ٢:٣٤٥، لابن الأثير.

١١ . الخطبة: ٢٢٢ عزر الحكم للامدي.

١٢ . الحكم هنا: الحكمة، قال اللّه تعالى: وآتيناه الحكم صبياً مريم: ١٢، وعى: حَفِظ وفهم المراد.

١٣ . دنا: قرب من الرَشاد الذي دعا إليه.

١٤ . الحُجزة- بالضم- معقد الإزار، والمراد الاقتداء والتمسك، يقال: أخذ فلان بحجزة فلان، إذا اعتصم به ولجأ إليه.

وَأحْرَزَ عِوَضاً، كابَرَ هَواهُ،[2] وَكَذَّبَ مُناهُ، جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجاتِهِ، وَالتَّقْوى عُدَّةَ وَفاتِهِ. رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرّاءَ[3] وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ[4] الْبَيْضاءَ، اغْتَنَمَ الْمَهَلَ،[5] وَبادَرَ الْأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ[6].

انتَفِعُوا بِبَيانِ اللَّهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَواعِظِ اللَّهِ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أعْذَرَ إلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ[7] وَأخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحابَّهُ مِنَ الْأعْمالِ وَمَكارِهَهُ مِنْها لِتَتَّبِعُوا هذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هذِهِ.

فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانَ يَقُولُ: 'إنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكارِهِ، وَإِنَّ النّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَواتِ'. وَاعْلَمُوا أنَّهُ ما مِنْ طاعَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إلاّ يَأْتِي فِي كُرْهٍ، وَما مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إلاّ يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ، فَرَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً نَزَعَ[8] عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هذِهِ النَّفْس أبْعَدُ شَيْ ءٍ مَنزَعاً،[9] وَإِنَّها لاتَزالُ تَنْزِعُ إلى مَعْصِيَةٍ فِي هَوىً. وَاعْلَمُوا عِبادَ اللَّهِ أنَّ الْمُؤْمِنَ لايُمْسِي وَلايُصْبِحُ إلاّ وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ[10] عِنْدَهُ، فَلايَزالُ زارِياً[11] عَلَيْها، وَمُسْتَزِيداً لَها، فَكُونُوا كَالسّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْماضِينَ أمامَكُمْ، قَوَّضُوا[12] مِنَ الدُّنْيا تَقْوِيضَ الرّاحِلِ، وَطَوَوْها طَيَّ الْمَنازِلِ...[13]

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحانَهُ أنْ يَجْعَلَنا وَإيّاكُمْ مِمَّن لا تُبْطِرُهُ[14] نِعْمَةٌ، وَلاتُقَصِّرُ بِه عَن طاعَةِ رَبِّهِ غايَةٌ، وَلاتَحِلُّ بِه بَعْدَ الْمَوْتِ نَدامَةٌ وَلاكَآبَةٌ[15].

---

١ . اكتسب مذخوراً: كسب بالعمل الجليل ثواباً يذخره ويُعدّه لوقت حاجته.

٢ . كابَرَ هواه: غالبه، ويروى كاثر بالمثلثة أي: غالبه بكثرة افكاره الصائبة فغلبه.

٣ . الغرّاء: السيرة الواضحة.

٤ . المحجّة: جادة الطريق ومُعظمه.

٥ . المَهَل هنا: مدّة الحياة مع العافية، فانّه أمهل فيها دون أن يُؤخذ بالموت أو تَحُلُّ به بائقة العذاب.

٦ . الخطبة: ٧٦ الروضة من الكافي: ص ١٧٢.

٧ . أعذر اليكم بالجلية: أي بالأعذار الجليّة، والعذر هنا مجاز عن سبب العقاب في المؤاخذة عند مخالفة الأوامر الالهية.

٨ . نزع عنه: انتهى وأقلع .

٩ . أبعد منزعاً: أي نزوعاً بمعنى الإنتهاء والكفّ عن المعاصي.

١٠ . ظنون-كصبور- الضعيف والقليل الحيلة.

١١ . زارياً عليها:أي عائباً.

١٢ . التقويض: نزع أعمدة الخيمة وأطنابها، والمراد أنهم ذهبوا بمساكنم وطووا مدة الحياة كما يطوي المسافر منازل سفره أي مراحله ومسافاته.

١٣ . الخطبة: ١٧٦.

١٤ . لا تُبْطِره النعمة:أي لا تطغيه، لا تسدل على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر اليه.

١٥ . الخطبة: ٦٤- تذكرة الخواص: ص ١٤٥ للسبط ابن الجوزي.

صفات المتقين

التقوى

قال تعالى «**ومن يتق اللّه يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيثُ لا يحتسب**»[1] وعلى أثر القرآن الكريم سار أميرالمؤمنين فحمل للأمة وصيته بالتقوى لانها المخرج في كل مصيبة، ولأنها الطريق إلى كل تقدم وازدهار يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام) أوصيكم عبادَ اللّه بتقوى اللّه فإنها الزِّمامُ والقِوامُ، فتمسَّكُوا بوثائقها، واعتصموا بحقائقها، تؤولُ بكم إلى اكنان الدَّعَةِ وأوْطان لسَّفةِ ومعاقِلِ الحِرْز، ومنازل العزِّ في يوم تشخص فيه الأبصار[2] يبيّن الامام فوائد التمسك بالتقوى.

أولاً: تؤول بكم إلى اكنان الدَّعة، أي أن التقوى توصلكم إلى بر الراحة حيث يعيش الانسان الاستقرار النفسي والرفاه الاقتصادي والتقدم.

ثانياً: وأوطان السعة. وهي الاماكن التي تدر على المتقدين أنواع الرزق الحلال.

ثالثاً: ومعاقل الحرز التي لا تجد فيها شراً ولا حزناً بل يعمها الفرج الدائم ومنازل السعر وهي منازل الآخرة التي أعدّها اللّه للمتقين الصادقين ويقول عن نتائج التقوى. من أشعر التقوى قلبه برز مهله وفاز عمله[3] فمن أخذ بالتقوى غربت عنه الشدائد فقلب الانسان هو غضروف يسرع إليه ا لعطب والفساد، وإذا فسد القلب فسد الانسان، ولا طريق لإصلاح القلب إلّا بالتقوى.

يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام):

فإنّ تقوى اللّه دواء داء قلوبكم.[4] وأجمل ما قاله أميرالمؤمنين (عليه السلام) في التقوى فإن تقوى اللّه مفتاحٌ سداد وذخيرة معاده[5] ولعلنا لا نجد في كلام البشر عبارة أجمل في هذه فالتقوى هو مفتاح كل طريق وعمل ناجح، فإذا أردت أن تقوم بأي عملٍ في أعمال الدُنيا والآخرة فإن التقوى هو مفتاح نجاحه. ومَنْ لا يريد أن ينجح في حياته،فنجاحه مرهونٌ بالتقوى. كما وأن التقوى ذخيرة لمعاد الانسان فمن أراد الآخرة وسعى لها عليه بالتقوى، لأريد التقوى رصيد لا حدود له، فكلما أراد عملاً يسدد به ما أرتكبه في أخطاء في حياته أعدّه التقوى بما يحتاج اللّه.

خطبة المتقين "همّام"

رُوِيَ أنَّ صاحِباً لِأمير الْمُؤمِنِينَ (عليه السلام)- يُقالُ لَهُ: هَمّامٌ- كانَ رَجُلاً عابِداً، فَقالَ لَهُ: يا أمِيرَ الْمُؤمِنِينَ صِفْ لِيَ الْمُتَّقِينَ حَتّى كَأنّي أنظُرُ إلَيْهِمْ، فَتَثاقَلَ (عليه السلام) عَنْ جَوابِهِ، ثُمَّ قالَ: ياهَمّامُ اتَّقِ اللّهَ وَأحْسِنْ 'فَإنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ' فَلَمْ يَقْنَعْ هَمّامٌ بُذلِكَ الْقَوْلِ حَتّى عَزَمَ عَلَيْهِ، فَحَمِدَاللّهَ وَأثْنى عَلَيْهِ، وَصَلّى عَلى النّبِيِّ- صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَالِهِ- ثُمَّ قالَ:

---

١ . الطلاق: ٣-٢.

٢ . الخطبة: ١٩٠.

٣ . الخطبة: ١٣٢.

٤ . خطبة: ١٩٨.

٥ . خ: ١٢٣.

... فَالْمُتَّقُونَ فِيها هُمْ أَهْلُ الْفَضائِلِ: مَنطِقُهُمُ الصَّوابُ،[1] وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقتصادُ،[2] وَمَشْيُهُمُ التَّواضُعُ[3].
غَضُّوا أَبْصارَهُمْ[4] عَمّا حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْماعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النّافِعِ لَهُمْ...
عَظُمَ الْخالِقُ[5] فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مادُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ.
فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآها فَهُمْ فِيها مُنَعَّمُونَ. وَهُمْ وَالنّارُ كَمَنْ قَدْ رَاها فَهُمْ فِيها مُعَذَّبُونَ. قُلُوبُهُم مَخْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُم مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسادُهُمْ نَحِيفَةٌ،[6] وَحاجاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ راحَةً طَوِيلَةً.
امّا الليل: فَصافُّونَ أَقْدامَهُمْ تالِينَ لِأَجْزاءِ الْقُرْانِ، يُرَتِّلُونَها تَرْتِيلاً،[7] يَحَزُّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ[8] بِهِ دَواءَ دائِهِمْ...
وأمّا النهار: فَحُلَماءُ عُلَماءُ أَبْرارُ أَتْقِياءُ...

علائم المتقين

فمن علامة أحدهم: أَنَّكَ تَرى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ،[9] وَحَزْماً فِي لِينٍ،[10] و إِيماناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ، وَقَصْداً[11] فِي غِنًى، وَخُشُوعاً فِي عِبادَةٍ، وَتَجَمُّلاً[12،13] فِي فاقَةٍ، وَصَبْراً فِي

---

١ . الصواب في القول وهو فضيلة العدل المتعلقة باللسان، وحاصله ان لا يسكت عما ينبغي ان يقال فيكون مفرّطاً، ولا يقول ما ينبغي أن يسكت عنه فيكون مفرطاً، بل يضع كلاًمن الكلام في موضعه اللايق به، وهو أخص من الصدق، لجواز ان يصدق الانسان فيما لا ينبغي من القول.

٢ . الاقتصاد: يلبسون الثياب بين بين لا هي بالثمينة جدّاً ولا الرخيصة جدّاً.

٣ . مشي التواضع، والتواضع ملكة تحت العفة تعود الى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر، ومشي التواضع مستلزم للسكون والوقار.

٤ . ابصارهم: خفضوها وغمضوها، وهو ثمرة العفة.

٥ . وذلك بحسب الجواذب الالهية الى الاستغراق في معرفته ومحبته، وبحسب تفاوت ذلك الاستغراق يكون تفاوت تصور العظمة، وبحسب تصور عظمته تعالى يكون تصورهم لا صغرية مادونه ونسبته اليه في اعين بصائرهم.

٦ . ومبدء ذلك كثرة الصيام والسهر وجشوبة المطعم وخشونة الملبس وهجر الملاذ الدنيوية.

٧ . الترتيل:التبيين والإيضاح.

٨ . يستثيرون: هيّجه، وقارى ء القرآن يستثير به الفكر الماحي للجهل.

٩ . وذلك أن يقاوم في دينه الوسواس الخناس ولا يدخل فيه خداع الناس، وهذا انما يكون في دين العالم.

١٠ . واللين قد يكون للتواضع المطلوب بقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، وقد يكون عن مهانة وضعف يقين، والاول هو المطلوب وهو المقارن للحزم في الدين، والثاني رذيلة ولا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كل جاذب.

١١ . قصداً: اي اقتصاداً.

١٢ . التجمل في الفاقة: وذلك بترك الشكوى الى الخلق والطلب منهم، واظهار الغنى عنهم، وذلك ينشأ عن القناعة والرضا بالقضاء وعلوّ الهمة، ويعين على ذلك ملاحظة الوعد الأجلّ وما اعدّ للمتقين.

١٣ . التجمّل: التظاهربااليسر عند الفاقة أي الفقر.

شِدَّةٍ، وَطَلَباً فِي حَلالٍ، وَنَشاطاً فِي هُدىً، وَتَحَرُّجاً[1] عَنْ طَمَعٍ. قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيما لايَزُولُ، وَزَهادَتُهُ فِيما لايَبْقى. يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالعِلْمِ، والْقَوْلَ بِالْعَمَلِ. تراه: قَلِيلاً زَلَلُهُ، خاشِعاً قَلْبُهُ، قانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً[2] مَنْزُوراً[2] أَكْلُهُ، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً[3] دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ. الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، والشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ. إِنْ كانَ فِي الْغافِلِينَ[4] كُتِبَ فِي الذّاكِرِينَ، وَإِنْ كانَ فِي الذّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغافِلِينَ. يَعْفُو عَمَّنْ[5] ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيداً فُحْشُهُ[6]، لَيِّناً قَوْلُهُ، غائِباً مُنْكَرُهُ، حاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ، فِي الزَّلازِلِ وَقُورٌ. وَفِي الرَّخاءِ شَكُورٌ. لايَحِيفُ عَلى مَنْ يُبْغِضُ، وَلا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ...
وَلا يُنابِزُ[7] بِالْأَلْقابِ، وَلا يُضارُّ بِالْجارِ...
نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَناءٍ، والنّاسُ مِنْهُ فِي راحَةٍ...[8].

التربية

وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ (عليه السلام) لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَلَيْهِمَا السَّلامُ، كَتَبَها إِلَيْهِ بِحاضِرِينَ[9] مُنْصَرِفاً مِنْ صِفِّينَ:
بسم اللّه الرّحمن الرحيم
مِنَ الْوالِدِ الْفانِ، الْمُقِرِّ[10] لِلزَّمانِ، الْمُدْبِرِ[11] الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ[1] لِلدَّهْرِ، الذّامِ لِلدُّنْيا، السّاكِنِ مَساكِنَ الْمَوْتَى إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ[2] ما لا يُدْرِكُ، السّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ...

---

١ . التحرج: عدّ الشي ء حرجاً أي إثما، أي تباعداً عن طمع.

٢ . منزوراً: قليلاً، وذلك لما يتصور في البطنة من ذهاب الفطنة وزوال الرّقة وحدوث القسوة والكسل عن العمل.

٣ . حريزاً: حصيناً.

٤ . اي ان رآه الناس في عداد الغافلين عن ذكر اللّه لتركه الذكر باللّسان، كتب عند اللّه من الذاكرين لاشتغال قلبه بالذكر وان تركه تركه بلسانه، وان كان من الذاكرين بلسانه بينهم فظاهر انه يكتب من الغافلين.

٥ . والعفو فضيلة تحت الشجاعة، وخصّ من ظلمه ليتحقق عفوه مع قوّة الداعي الى الانتقام.

٦ . الفحش: القبيح من القول.

٧ . لا ينابز: لا يدعو باللقب الذي يكره ويشمئز منه.

٨ . الخطبة: ١٩٣- كتاب سليم بن قيس ص ٢١١- امالي الصدوق: ص ٣٤٠- عيون الاخبار: ٢:٣٥٢- مروج الذهب:٢:٤٢٠ للمسعودي.

٩ . اسم موضع بالشام، وفي شرح ابن ابي الحديد: اما قوله: كتبها اليه بحاضرين، فالذي كنّا نقرؤه قديماً كتبها اليه بالحاضرين على صيغة التثنية، يعني حاضر حلب وحاضر قنسرين، وهي الارياض والضواحي المحيطة بهذه البلاد، ثمّ قرأناه بعد ذلك على جماعة من الشيوخ بغير لام، ولم يفسّروه، ومنهم من يذكره بصيغة الجمع لا بصيغة التثنية، ومنهم من يقول بحناصرين، يظنونه تثنية خناصره او جمعها.

١٠ . المعترف بالشدة والمقر له بالغلبة.

١١ . وذاك انّه كان عليه السلام قد ذر على الستين.

ضرورة التربية

أمّا بَعْدُ، فَإنَّ فِيما تَبَيَّنْتُ مِنْ إدْبارِ الدُّنْيا عَنِّي، وَجُمُوحِ[٣] الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإقْبالِ الاخِرَةِ إلَيَّ، ما يَزَعُنِي[٤] عَن ذِكْرِ مَنْ سِوايَ، والاهْتِمامِ بِما وَرائِي، غَيْرَ أنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي- دونَ هُمُومِ النّاسِ- هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَقَنِي[٥] رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوايَ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ[٦] أمْرِي، فَأفْضى بِي إلى جِدٍّ لايَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لايَشُوبُهُ كَذِبٌ. وَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتّى كَأنَّ شَيْئاً لَوْ أصابَكَ أصابَنِي، وَكَأنَّ الْمَوْتَ لَوْأتاكَ أتانِي.

فَعَنانِي مِنْ أمْرِكَ ما يَعْنِينِي مِنْ أمْرِ نَفْسِي. فَكَتَبْتُ إلَيْكَ كِتابِي مُسْتَظْهِراً[٧] بِهِ إنْ أنَا بَقِيتُ لَكَ أوْفَنِيتُ.

الوصية بالتقوى، والسير في الديار والاثار

فَإنِّي أوُصِيكَ بِتَقْوَى اللّهِ- أيْ بُنَيَّ- وَلُزُومِ أمْرِهِ، وَعِمارَةِ قَلْبِكَ[٨] بِذِكْرِهِ. وَالْاِعْتِصامِ[٩] بِحَبْلِهِ، وَأيُّ سَبَبٍ أوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللّهِ إنْ أنتَ أخَذْتَ بِهِ؟!

أحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأمِتْهُ بِالزَّهادَةِ،[١٠] وَقَوِّهِ[١١] بِالْيَقِينِ، "وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ" وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ...

وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أخْبارَ الْماضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِما أصابَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ مِنَ الأوَّلِينَ. وَسِرْفِي دِيارِهِمْ وَآثارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيما فَعَلُوا، وَعَمَّا انتَقَلُوا "وَأيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا فَإنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انتَقَلُوا عَنِ الْأحِبَّةِ، وَحَلُّوا دارَالْغُرْبَةِ، وَكَأنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأحَدِهِمْ. فَأصْلِحْ مَثْواكَ، وَلاتَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْياكَ.

---

١ . هذا آكد من المقرّ للزمان لأنه قد يقرّ الانسان لخصمه ولا يستسلم.

٢ . غير تنفير عن طول الأمل إذ كان ينسى الآخرة، وجعل وجه التنفير تأميله أن يدرك، وظاهر أنّ الانسان مادام في هذه الدار موجّه أمله نحو مطالبها كما أشار إليه سيد المرسلين صلى الله عليه و آله: يشيب بن آدم ويشبّ فيه خصلتان: الحرص والأمل، وذلك يستلزم انقضاء مدّته دون بلوغها، وانما أراد جنس الخصوص الحسن عليه السلام وكذلك سائر الأوصاف.

٣ . جمح الفرس:إذا غلب صاحبه فلم يملكه.

٤ . يمنعني.

٥ . صرفني.

٦ . خالصه.

٧ . مستغنياً به.

٨ . استعار لفظ العمارة لتكميل قلبه بذكر الله وإكثاره منه لأنّه روح العبادات وكمال النفس، كما أنّ العمارة كمال الدار.

٩ . في تفسير البرهان سورة آل عمران، آية ١٠٣ عن عبداللّه بن عباس قال كنّا عند رسول اللّه صلى الله عليه و آله اذ جاء اعرابي فقال يا رسول اللّه صلي الله عليه و آله سمعتك تقول واعتصموا بحبل اللّه جميعاً، فما حبل اللّه الذي نعتصم به؟ فضرب النبي صلى الله عليه و آله يده في يد علي عليه السلام وقال تمسكوا بهذا فهذا هو الحبل المتين ١:٣٠٦.

١٠ . والذي يميته هي النفس الأمارة بالسوء، وإماتتها كسرها عن ميولها المخالفة لآراء العقل.

١١ . اي من ضعف الجهل للصعود الى افق عليين، ولما كان اليقين درجة اشتداد في العلم ناسب ان يجعله تقوية للقلب.

الطرق الى وصول التربية وتحققه

وَدَعِ القَوْلَ فِيما لاتَعرِفُ، وَالخِطابَ فِيما لَمْ تُكَلَّفْ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إذا خِفْتَ ضَلالَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوالِ. وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنكِرِ الْمُنكَرَ بِيَدِكَ وَلِسانِكَ، وَباينْ[1] مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، وَجاهِدْ فِي اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ، وَلا تَأْخُذْكَ فِي اللّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ. وَخُضِ الْغَمَراتِ[2] لِلْحَقِّ حَيْثُ كانَ وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ. وَعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الحَقِّ...

رسالة المعلم والمربّي

... وَإِنَّما قَلْبُ[3] الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخالِيَةِ، ما أُلْقِيَ فِيها مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ. فَبادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ[4] رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ ما قَدْ كَفاكَ أَهْلُ التَّجارِبِ، بُغْيَتَهُ[5] وَتَجْرِبَتَهُ. وَتَجْرِبَتَهُ. فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ وَعُوفِيتَ مِنْ عِلاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتاكَ مِن ذلِكَ ما قَدْ كُنّا نَأْتِيه، وَاسْتَبانَ[6] لَكَ ما رُبَّما أَظْلَمَ عَلَيْنا مِنْهُ.

الاعتبار بالماضين

اثر التّاريخ في التربية

أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كانَ قَبْلِي- فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثارِهِمْ، حَتّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ.بَلْ كَأَنِّي بِمَا انتَهى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلى اخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ.
فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ،[7] وَتَوَخَّيْتُ[8] لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ. وَرَأَيْتُ- حَيْثُ عَنانِي مِنْ أَمْرِكَ ما يَعْنِي الْوالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ[9] عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ- أَنْ يَكُونَ ذلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ[10] الْعُمُرِ، وَمُقْتَبِلُ الدَّهْرِ، ذُونِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صافِيَةٍ.

---

١ . باعد وجانب.

٢ . الشّدائد.

٣ . وذلك انّ قلب الحدث لمّا كان خالياً من الانتقاش بالعقايد وغيرها، مع كونه قابلاً لما يلقى اليه من خير او شرّ فينتقش به، شبيه شبيه بالأرض الخالية من النبات والزرع، القابلة لما يلقى فيها من البذر.

٤ . أي محققة وثابته.

٥ . اغناه عن طلبه.

٦ . ظهر.

٧ . المختار المصفى.

٨ . تحرّيت.

٩ . عزمت.

١٠ . مقتبل الإنسان، اوّل عمره.

أولوية معرفة القرآن في التعليم

وَأنْ أبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَتَأْوِيلِه، وَشَرائِعِ الْإِسْلامِ وَأحْكامِهِ، وَحَلالِهِ وَحَرامِهِ، لا أُجاوِزُ ذلِكَ بِكَ إلى غَيْرِهِ. ثُمَّ أشْفَقْتُ[1] أنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النّاسُ فِيهِ مِنْ أهْوائِهِمْ وَارائِهِمْ مِثْلَ مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكانَ إحْكامُ ذلِكَ عَلى ما كَرِهْتُ مِنْ تَنَبِيهِكَ لَهُ أحَبَّ مِنْ إسْلامِكَ إلى أمْرٍ لا امَنُ عَلَيْكَ فِيهِ الْهَلَكَة. وَرَجَوْتُ أنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إلَيْكَ وَصِيَّتِي هذِهِ.

حسن المخالطة مع الناس، من اصول التربية

يا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ ميزاناً فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأحْبِبْ لِغَيْرِكَ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ ما تَكْرَهُ لَها، وَلاتَظْلِمْ كَما لا تُحِبُّ أنْ تُظْلَمَ، وَأحْسِنْ كَماتُحِبُّ أنْ يُحْسَنَ إلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ ما تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النّاسِ بِما تَرْضاهُ لَهُم من نَفْسِكَ، وَلاتَقُل ما لاتَعْلَمُ وَإنْ قَلَّ ما تَعْلَمُ، وَلا تَقُلْ مالا تُحِبُّ أنْ يُقالَ لَكَ.

رعاية حقوق الاخوان والاهل

وَلا تُضِيعَنَّ حَقَّ أخِيكَ اتِّكالاً عَلى مابَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأخٍ مَنْ أضَعْتَ حَقَّهُ. وَلا يَكُنْ أهْلُكَ أشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ. وَلا يَكُونَنَّ أخُوكَ أقْوى عَلى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلى صِلَتِهِ، وَلا يَكُونَنَّ عَلى الْإساءَةِ أقْوى مِنْكَ عَلَى الإحْسانِ. وَلايَكْبُرَنَّ عَلَيكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإنَّهُ يَسْعى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزاءُ مَنْ سَرَّكَ أنْ تَسُوءَهُ...

العظة والارشاد قبل التأديب

وَلا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لاتَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إلاّ إذا بالَغْتَ فِي إيلامِهِ، فَإنَّ الْعاقِلَ يَتَّعِظُ بِالأدَبِ، وَالْبَهائِمَ لا تَتَّعِظُ إلاّ بِالضَّرْبِ. إطْرَحْ عَنْكَ واردات[2] الْهُمُومِ بِعَزائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ، مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَجارَ، الصّاحِبُ مُناسِبٌ، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ، وَالْهَوى شَرِيكُ الْعَمى...
أسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَدُنْياكَ، وَأسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضاءِ لَكَ فِي الْعاجِلَةِ وَالْاجِلَةِ، وَالدُّنْيا وَالْاخِرَةِ، وَالسَّلامُ.

كن مع الناس حتى يكونوا معك

يابنيّ! اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فاحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها. ولا تظلم كما لا تحبّ أن تظلم، واحسن كما تحبّ أن يحسن اليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من النّاس بما ترضاه لهم من نفسك. ولا تقل مالا تعلم وإن قلّ ما تعلم، ولا تقل مالا تحبّ أن يقال لك[3].

---

١ . اي كنت رأيت ان اقتصر بك على ذلك ولا أتجاوز بك الى غيره من العلوم العقلية، ثمّ خفت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه فيه من المسائل العقلية التي يكثر التباس الحق فيها بالباطل ويكتنفها الشبهات التي هي مظنة الخطر والانحراف بها عن سبيل الحق الى سبيل الهلاك، واحكام ذلك الامر بيان وجه البرهان فيه وكيفية الخلاص من شبهة الباطل ومزاحه.

٢ . اي بحذف عن نفسه ما يرد عليها من الغموم والهموم ومصائب الدنيا بالصبر الجازم الثابت عن حسن اليقين بالله تعالى وباسرار حكمته وقضائه وقدره، وذلك أن يعلم يقيناً ان كلّ امر صدر عن الله وابتلي به عبارة من ضيق رزق أو سعته ودو فعلي وفق الحكمة والمصلحة بالذات... فانّ ذلك إذا كان متيقّناً استعدت النفس بعلمه للصبر ومفارقة الهوى في الغمّ والجزع. الرسالة: ٣١- من لا يحضره الفقيه: ٣٦٢:٣- الكافي: ٣٣٨:٥- مجمع الأمثال: ١٧٢:١ للميداني.

٣ . الرسالة: ٣١ الكافي: ٣٣٨:٥.

اغتنم الاحسان الى اهل الفاقة

وَاعْلَمْ أَنَّ أمامَكَ طَرِيقاً ذا مَسافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لا غِنى بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيادِ،[1] وَقَدْرِ بَلاغِكَ[2] مِنَ الزّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ.

فَلاتَحْمِلَنَّ عَلى ظَهْرِكَ فَوْقَ طاقَتِكَ فَيَكُونَ ثِقْلُ ذلِكَ وَبالاً عَلَيْكَ، وَإذا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفاقَةِ[3] مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زادَكَ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ فَيُوافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتاجُ إلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إيّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاتَجِدُهُ، وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حالِ غِناكَ لِيَجْعَلَ قَضاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ[4].

واكرم نفسك...

وَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَأَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كانَ قَبْلَكَ. فَخَفِّضْ[5] فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ[6] فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إلى حَرَبٍ،[7] وَلَيْسَ كُلُّ طالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ. وأكرم نفسك عن كلّ دنية[8] وإن ساقتك الى الرّغائب[9]، فانّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً[10]. ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك اللّه حرّاً، وما خير خير لا ينال الّا بشرّ، ويسر[11] لا ينال الّا لعسر[12]،[13].

---

١ . الارتياد: الطلب، وحسنه إتيانه من وجهه.

٢ . البلاغ- بالفتح-: الكفاية.

٣ . الفاقة: الفقر.

٤ . الرسالة: ٣١- من لا يحضره الفقيه: ٣:٣٦٢.

٥ . خفّض: أمر من خَفَضَ- بالتشديد-: أي ارفق.

٦ . أجمل في كسبه، اي: سعى سعياً جميلاً لا يحرص فيمنع الحق ولا يطع فيتناول ما ليس بحق.

٧ . الحَرَب- بالتحريك-: سلب المال.

٨ . الدنية: الشي ء الحقير المبتذل.

٩ . الرّغائب: جمع رغيبة، وهي ما يرغب في اقتنائه من مال وغيره.

١٠ . عوضاً: بدلاً.

١١ . اليُسر: السهولة، والمراد سعة العيش.

١٢ . العسر: الصعوبة، والمراد ضيق العيش.

١٣ . الرسالة: ٣١- العقد الفريد: ٣:١٥٥.

بادر الفرصة...

وَتَلافِيكَ[1] ما فَرَّطَ[2] مِنْ صَمْتِكَ أيْسَرُ مِنْ إدْراكِكَ[3] ما فاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ ما فِي الْوِعاءِ بِشَدِّ الْوِكاءِ،[4] وَحِفْظُ ما فِي يَدَيْكَ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ طَلَبِ ما فِي يَدي غَيْرِكَ. وَمَرارَةُ الْيَأسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إلَى النّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنى مَعَ الْفُجُورِ. وَالْمَرْءُ أحْفَظُ لِسِرِّهِ[5]، وَرُبَّ ساعٍ فِيما يَضُرُّهُ، مَنْ أكْثَرَ أهْجَرَ،[6] وَمَنْ تَفَكَّرَ أبْصَرَ.[7]

قارِنْ أهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَباينْ أهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بِئْسَ الطَّعامُ الْحَرامُ، وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أفْحَشُ الظُّلْمِ، إذا كانَ الرِّفْقُ خُرْقاً[8] كانَ الْخُرْقُ رِفقاً.

رُبَّما كانَ الدَّواءُ داءً و الدّاءُ دَواءً، و رُبَّما نَصَحَ غَيْرُ النّاصِحِ وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ،[9] وَإيّاكَ وَالِاتِّكالَ عَلَى الْمُنى[10] فَإنَّها بَضائِعُ النَّوكى.[11]

وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجارِبِ، وَخَيْرُما جَرَّبْتَ ما وَعَظَكَ، بادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أنْ تَكُونَ غُصَّةً، لَيْسَ كُلُّ طالِبٍ يُصِيبُ، وَلا كُلُّ غائِبٍ يَؤُوبُ، وَمِنَ الْفَسادِ إضاعَةُ الزّادِ وَمَفْسَدَةُ الْمَعادِ، وَلِكُلِّ أمْرٍ عاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ ما قُدِّرَ لَكَ.

التّاجِرُ مُخاطِرٌ، وَرُبَّ يَسيرٍ أنْمى مِنْ كَثِيرٍ، وَلا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ،[12] وَلا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ[13]، ساهِلِ[1] الدَّهْرَ ما ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ،[2] وَلا تُخاطِرْ بِشَيْءٍ رَجاءَ أكْثَرَ مِنْهُ، وَإيّاكَ أنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجاجِ.[4]

---

١ . التلافي: التدارك لإصلاح ما فسد أو كاد.

٢ . ما فرط: أي قصر عن افادة الغرض أو إنالة الوطر.

٣ . إدراك ما فات: هو اللحاق به لأجل استرجاعه، وفات: أي سبق إلى غير عودة.

٤ . بشد وكائها: أي رباطها.

٥ . أحفظ لسرّه: أشدّ صوناً له وحرصاً على عدم البوح به.

٦ . أهجر إهجاراً وهُجراً- بالضم-هذى يهذي اي عدم الاشتهار والظهور في كلامه.

٧ . الرسالة: ٣١- كتاب المحجة: للسيد ابن طاووس.

٨ . الخُرق- بالضمّ- العنف.

٩ . المستنصح- اسم مفعول-: المطلوب منه النصح.

١٠ . المُنى- جمع منية بضم فسكون-: ما يتمناه الشخص لنفسه ويعلّل نفسه باحتمال الوصول إليه.

١١ . النَّوكى: جمع أنوك، وهو كالأحمق وزناً ومعنى.

١٢ . مهين:- بفتح الميم- بمعنى حقير. والحقير لا يصلح ان يكون معيناً.

١٣ . الظنين، بالظاء: المتهم.

حقوق الأخوان

إحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أخِيكَ عِنْدَ صَرمِهِ[٥] عَلَىَ الصِّلَةِ،[٦] وَعِنْدَ صُدُودِهِ[٧] عَلَى اللُّطفِ[٨] وَالْمُقارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ[٩] عَلَىَ الْبَذْلِ،[١٠] وَعِنْدَ تَباعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّين، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وَكَأَنَّهُ ذُو نعْمَةٍ عَلَيْكَ، وَإِيَّاكَ أنْ تَضَعَ ذلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أوْ أنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أهْلِهِ.

لا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أخاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كانَتْ أوْ قَبِيحَةً. وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ[١١]، فَإِنِّي لَمْ أرَ جُرْعَةً أحْلى مِنْها عاقِبَةً وَلا أَلَذَّ مَغَبَّةً،[١٢] وَلِنْ[١٣] لِمَنْ غالَظَكَ[١٤] فَإِنَّهُ يُوشِكُ أنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أحْلَى الظَّفَرَيْنِ. وَإِنْ أرَدْتَ قَطِيعَةَ أخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْها إِنْ بَدالَهُ ذلِكَ يَوْماً. وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، ولا تضيّعن حق اخيك اتكالاً على ما بينك وبينه فانّه ليس لك باخ من اضعت حقه.[١٥] ولا يكن اهلك أشقى الخلق بك، ولا ترغبن فيمن زهد عنك، ولا يكونن اخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته، ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الاحسان. ولا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرته ونفعك، وليس جزاء من سرّك أن تسوؤه.[١٦]

---

١ . ساهل الدهر: خذ حظك منه بسهولة ويسر.

٢ . القعود-بفتح أوّله- الجمل الذي يقتعده الرّاعي في كلّ حاجته، وللفصيل، اي ساهل الدّهر ما دام مقاداً وخذ حظك من قياده.

٣ . المطية: ما يركب ويمتطى واللجاج- بالفتح-: الخصومة.

٤ . الرسالة: ٣١- مجمع الامثال: ١:١٧٢، للمداني.

٥ . صَرْمِهِ: قطيعته.

٦ . الصّلة: الوصال، وهو ضدّ القطيعة.

٧ . الصُدود: الهجر.

٨ . اللطف- بفتح اللام والطاء-: الاسم من ألطفه بكذا أي برّه به.

٩ . جموده: بخله.

١٠ . البَذل: العطاء.

١١ . الغيظ: الغضب الشديد.

١٢ . المغبّة- بفتحتين ثمّ باء مشدّدة- بمعنى العاقبة.

١٣ . لن: أمر من اللين ضدّ الغلظ والخشونة.

١٤ . غالظك: عاملك بغلظ وخشونة.

١٥ . الرسالة: ٣١- الرسائل: للشيخ الكليني- الزواجر والمواعظ: لحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري.

١٦ . الرسالة: ٣١- تحف العقول: ص ٥٢.

العاقل يتعظ بالآداب...

وَاعْلَمْ، يابُنَيَّ، أنَّ الرِّزْقَ رِزْقان: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإنْ أنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أتاكَ.
ما أقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحاجَةِ، وَالْجَفاءَ عِنْدَ الْغِنى، إنَّما لَكَ مِنْ دُنْياكَ ما أصْلَحْتَ بِهِ مَثْواكَ.[1] وَإنْ جَرِعْتَ عَلى ما تَفَلَّتَ.[2]

مِنْ يَدَيْكَ فَاجْزَعْ عَلى كُلِّ مالَمْ يَصِلْ إلَيْكَ، اسْتَدِلَّ عَلى مالَمْ يَكُنْ بِما قَدْ كانَ فإنَّ الْأُمُورَ أشْباهٌ. ولا تكونَنّ ممّن لا تنفعه العظة الّا اذا بالغت في ايلامه فانّ العاقل يتعظ بالآداب، والبهائم لا تتعظ الّا بالضرب.[3]

اطرح واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين.
من ترك القصد[4] جار،[5] والصاحب مناسب،[6] والصديق من صدّق غيبه،[7] والهوى[8] شريك العمى، العمى، وَرُبَّ بَعِيدٍ أقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ. وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُن لَهُ حَبِيبٌ، مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلى قَدْرِهِ كانَ أبقى لَهُ، وَأوْثَقُ سَبَبٍ أخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللّهِ سبحانه. وَمَن لَمْ يُبالِكَ[9] فَهُوَ عَدُوُّكَ، قَدْ يَكُونُ الْيَأسُ إدراكاً إذا كانَ الطَّمَعُ هَلاكاً...
أخِّرِ الشَّرَّ فَإنَّكَ إذا شِئتَ تَعَجَّلْتَهُ،[10] وَقَطِيعَةُ الْجاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعاقِلِ.
مَنْ أمِنَ الزَّمانَ خانَهُ، وَمَنْ أعْظَمَهُ[11] أهانَهُ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمى أصابَ، إذا تَغَيَّرَ السُّلطانُ تَغَيَّرَ الزَّمانُ.
سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجارِ قَبْلَ الدّارِ.
إيَّاكَ أنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلامِ مايَكُونُ مُضْحِكاً وَإنْ حَكَيْتَ ذلِكَ عَنْ غَيْرِكَ...[12]

---

١ . مثواك: مُقامك، من ثوى يثوي: أقام يقم، والمراد هنا- منزلتك من الكرامة.

٢ . تفلّت- تشديد اللام-: أي تخلّص من اليد فلم تحفظه.

٣ . الرسالة: ٣١- الكافي: ٥:٣٣٨.

٤ . القصد: الاعتدال.

٥ . جار: مال عن الصواب.

٦ . الصاحب مناسب: أي يراعي فيه ما يراعى في قرابة النسب.

٧ . الغيب: ضدّ الحضور، أي من حفظ لك حقّك وهو غائب عنك.

٨ . الهوى: شهوة غير منضبطة ولا مملوكة بسلطان الشرع والأدب.

٩ . لم يُبالك: أي لم يهتم بأمرك، باليته وباليت به: أي راعيته واعتنيت به.

١٠ . تعجلته: استبقت حدوثه.

١١ . أعظمه: هابه وأكبر من قدره.

١٢ . الرسالة: ٣١- من لا يحضره الفقيه: ٣:٣٦٢.

امسك لسانك

طُوبى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ، وَطابَ كَسْبُهُ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ،[1] وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسانِهِ، وَعَزَلَ عَنِ النّاسِ شَرَّهُ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَلَمْ يُنسَبْ إِلى الْبِدْعَةِ.[2]

مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ كابَدَ[3] الْأُمُورَ عَطِبَ،[4] وَمَنْ اقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ، وَمَنْ دَخَلَ مَداخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ. وَمَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ، وَمَنْ وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ ماتَ قَلْبُه دَخَلَ النَّارَ. وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ "وَالْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ" وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ.[5]

انظروا الى مرآة الحياة

كانَ لِي فِيما مَضى أَخٌ فِي اللّهِ، وَكانَ يُعَظِّمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيا فِي عَيْنِهِ، وَكانَ خارِجًا مِنْ سُلْطانِ بَطْنِهِ فَلا يَشْتَهِي ما لايَجِدُ وَلا يُكْثِرُ إِذا وَجَدَ، وَكانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صامِتاً، فَإِنْ قالَ بَذَّ[6] الْقائِلِينَ، الْقائِلِينَ، وَنَقَعَ غَلِيلَ[7] السّائِلِينَ. وَكانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفًا، فَإِنْ جاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ[8] عادٍ وَصِلُّ[9] وادٍ، لايُدْلِي [10]بِحُجَّةٍ حَتّى يَأْتِيَ قاضِيًا، وَكانَ لايَلُومُ أَحَدًا عَلى ما يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتّى يَسْمَعَ اعْتِذارَهُ. وَكانَ لايَشْكُو وَجَعاً إِلا عِنْدَ بُرْئِهِ، وَكانَ يَفْعَلُ مايَقُولُ وَلا يَقُولُ مالا يَفْعَلُ، وَكانَ إِنْ غُلِبَ عَلَى الْكَلامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ، وَكانَ عَلى أَنْ يَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلى أَنْ يَتَكَلَّمَ. وَكانَ إِذا بَدَهَهُ[11] أَمْرانِ نَظَرَ أَيُّهُما أَقْرَبُ إِلَى الْهَوى فَيخالِفُهُ.

---

١ . الخليقة: الخلق والطبيعة.

٢ . قصار الحكم: ١٢٣.

٣ . كابَدَها: قاساها اي عالجها بلا إعداد اسبابها فكأنه كاذبها وتطارده.

٤ . عَطب: هلك وانكسر، والمراد خَسِرَ.

٥ . قصار الحكم: ٣٤٩.

٦ . بَذّهم أي كفّهم عن القول ومنعهم.

٧ . نَقَعَ الغليل: أزال العطش.

٨ . الليث: الأسد، والغاب:جمع غابة، وهي الشجر الكثير الملتف سَيَذْكرُ فيه الأسد.

٩ . الصلّ- بالكسر-: الحيّة.

١٠ . أدلى بحجته: أحضرها.

١١ . بَدَهَهُ الامر: فجأه وبَغْتَهُ.

فَعَلَيْكُمْ بِهذِهِ الْخَلائِقِ فَالْزَمُوها وَتَنافَسُوا فِيها، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوها فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الكَثِيرِ[1].

رؤوس علم الحياة

١- رعاية الحقوق المتقابلة.
٢- حقوق البؤساء والمحرومين، حقوق الانسان.
٣- حق الانسان على نفسه برمجة حياته.
٤- حق الانسان على نفسه "تحصيل الرزق ومكافحة الفقر".

رعاية الحقوق المتقابلة

إنّ للولد على الوالد حقّاً، وانّ للوالد على الولد حقاً:
فحق الوالد على الولد: أن يطيعه في كلّ شيءٍ إلّا في معصية اللّه سبحانه. وحق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويحسّن أدبه، ويعلمه القرآن.

حقوق البؤساء والمحرومين، حقوق الانسان[2]

لِكُمَيْلِ بْنِ زِيادٍ النَّخَعِيِّ:
يا كُمَيْلُ: مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا[3] فِي كَسْبِ الْمَكارِمِ، وَيُدْلِجُوا[4] فِي حاجَةِ مَنْ هُوَ نائِمٌ. فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْواتَ مامِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلاّ وَخَلَقَ اللّهُ لَهُ مِنْ ذلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً، فَإِذا نَزَلَتْ بِهِ نائِبَةٌ[5].

جَرى إِلَيْها كَالْماءِ فِي انْحِدارِهِ حَتّى يَطْرُدَها عَنْهُ كَما تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الْإِبِلِ[6].

حق الانسان على نفسه برنامجة حياته

لِلْمُؤْمِنِ ثَلاثُ سَاعَاتٍ:
فَساعَةٌ يُنَاجِي فِيها رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَرُمُّ[7] فِيهَا مَعَاشَهُ، وَسَاعَةٌ يُخَلِّي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيَما يَحِلُّ وَيَجْمُلُ. وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً إِلَّا فِي ثَلاثٍ: مَرَمَّةٍ[8] لِمَعَاشٍ، أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ[9].

---

١ . قصار الحكم: ٢٨٩.

٢ . قصار الحكم: ٣٩٩.

٣ . الرَّواح: السّير من بعد الظهر.

٤ . الإدلاج: السّير من اوّل الليل.

٥ . نائبة: مصيبة.

٦ . قصار الحكم: ٢٥٧.

٧ . يَرُمُ- بكسر الراء وضمّها-: أي يُصلح.

٨ . المَرَمَّة- بالفتح-: الإصلاح.

حق الانسان على نفسه "تحصيل الرزق ومُكافحة الفقر"

لابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ:
يا بُنَيَّ إنِّي أخافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ؛ فاسْتَعِذْ باللّهِ مِنْهُ، فإنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ[3] للدِّين، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْل، دَاعِيَةٌ لِلْمَقتِ[4].

في الاقتصاد

نهج البلاغة هو في الواقع مجموعة مختارة من كلمات أميرالمؤمنين (عليه السلام) تشتمل على الخُطب والرسائل والكلمات القصار، وقد قالها الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) في مناسبات مختلفة وفي أوقات متباينة. ولما كانت خطبه ورسائله وكلماته لا تنفصل عن منهج الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) في تغيير أوضاع الأمة الاسلامية وتحقيق السعادة المنشوءة لها، فقد جاء هذهِ النصوص بصورة وثائق سياسية تحكي مسار الدولة الإسلامية وأساليب ادارتها، وطرق حل مشاكلها، والفنون السياسية المتبعة فيها. والإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) كان يعالج مشاكل الأمة وقضايا الدولة بموقف عملي ونظري في آنٍ واحد، فمن زاوية كان يُوجّه أنظار الناس والولاة وكلّ المعينين الى المشكلة ذاتّها، ثم يُبين الطرق ويضع الحلول المناسبة لها. ولما كان ا لاقتصاد غير منفصل عن حياة الناس، فكان من الطبيعي أن يتضمن نهج البلاغة على موضوعات إقتصادية تتعلق بمختلف شؤون الدولة والحياة. وبنظرة واحدة إلى خطب الإمام ورسائله وكلماته سنلاحظ اننا امام؟؟ كبير من النصوص التي تتضمن أفكاراً إقتصادية، وهي بحاجة إلى عملية تعدين واستخراج ثم وضعها في نسق منتظم لتصبح بصورة نظرية متكاملة. وتشتمل الموضوعات الاقتصادية في نهج البلاغة على موضوعات كثيرة منها؛ الأنشطة الإقتصادية المختلفة مثل 'الزراعة، الرعي، الصناعة، التجارة، الخدمات' وموضوع الملكية والثروة تم يتضمن نهج البلاغة على السياسات الضريبية والسياسة النقدية وسياسة التسعير، وسياسة الأعانات وسياسة الانفاق وسياسة الانتاج وسياسة المحاسبة وما أكثر ما ورد في نهج البلاغة عبارات تنم عن موضوعات في الاقتصاد.
يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام) ما عال من اقتصد[5].

فالأقتصاد وفي هذه الكلمة هوركن ركني للحياة السعيدة فمن يأخذ بعلم الاقتصاد لا يقترب منه الفقر أبداً ويقول أيضاً 'ودع الاسراف مقتصداً'[6].

لقد تضمن نهج البلاغة جميع أبواب الاقتصاد لأنه يغطي مرحلة مهمة من مراحل تكوين الدولة الإسلامية، ولما كان الاقتصاد أحد أهم أعمدة الدولة فقد ورد الكثير في كلمات الإمام؛ خطبه ورسائله وكلمات القصيرة متضمنة للاقتصاد.

---

١ . المعَاد: ما تعود إليه في القيامة.

٢ . قصار الحكم: ٣٩٠.

٣ . منقصة: نقص وعيب.

٤ . قصار الحكم: ٣١٩.

٥ . قصار الكلمات: ١٤٠.

٦ . باب الرسائل: ٢٠.

الفقر وعلاجه

المسائل الاقتصادية متوفرة ومتعددة ونحن بصدد أحدها وهو الفقر وعلاجه.
'ان اللّه تعالى قد حشد للإنسان في هذا الكون الفسيح كل مصالحه ومنافعه ووفّر له الموارد الكافية لامداده بحياته وحاجاته المادية'

والفقر حصيلة الظلم والجهل والتواني

الْحَمْدُ للّهِ الّذِي لا يَفِرُهُ[1] المَنْعُ وَالْجُمُودُ وَلا يُكْدِيهِ[2] الْإِعْطاءُ وَالْجُودُ، إذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقَصٌ سِواهُ، وَكُلُّ مانِعٍ مَذْمُومٌ ماخَلاهُ، وَهُوَ الْمَنّانُ بِفَوائِدِ النِّعَمِ، وَعَوائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ، عِيالُهُ الْخَلائِقُ، ضَمِنَ أرْزاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أقْواتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرّاغِبِينَ إلَيْهِ، وَالطّالِبِينَ ما لَدَيْهِ، وَلَيْسَ بِما سُئِلَ بِأجْوَدَ مِنْهُ بِما لَمْ يُسْأَلْ.
وَلَوْ وَهَبَ ما تَنَفَّسَتْ[3] عَنْهُ مَعادِنُ الْجِبالِ، وَضَحِكَتْ[4] عَنْهُ أصْدافُ البِحارِ: مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ[5] وَالْعِقْيانِ، وَنُثارَةِ[6] الدُّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجانِ[7]، ما أثَّرَ ذلِكَ فِي جُودِهِ، وَلا أنْفَدَسَعَةَ ما عِنْدَهُ، وَلَكانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخائِرِ الْأنْعامِ مالا تُنْفِدُهُ[8] مَطالِبُ الْأنامِ، لِأنَّهُ الْجَوادُ الّذِي لا يَغِيضُهُ[9] سُؤالُ السّائِلِينَ، وَلا يُبْخِلُهُ[10] إلْحاحُ الْمُلِحِّينَ.
...قَدَّرَ ما خَلَقَ فَأحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَالْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْدُونَ الْإنْتِهاءِ إلى غايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ[11] إذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلى إرادَتِهِ، وَكَيْفَ وَإنَّما صَدَرَتِ الأُمُورُ عَنْ مَشِيَّتِهِ الْمُنْشِئِ أصْنافَ الْأشْياءِ بِلا رَوِيَّةٍ فِكْرٍ الَ إلَيْها، وَلا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ[12] أضْمَرَ

---

١ . يفره المنع: يزيد في ماله، وهو من وَفَرَ وُفوراً.

٢ . يكديه: يُفقره ويُنفذ خزانته.

٣ . تنفس المعادن: كناية عن انغلاقها عن الجواهر.

٤ . ضحك الاصداف: كناية عن انفتاحها عن الدّر وتشققها.

٥ . الفلز- بكسر الفاء واللام-: الجوهر النّفيس. واللجين: الفضّة الخالصة، والعِقْيان: ذهب ينمو في معدنه.

٦ . نثارة الدّر- بالضّم-: منثورة.

٧ . حصيد المرجان: محصوده، يشير إلى أنّ المرجان نبات.

٨ . أنفده: بمعنى أفناه، ونَفِدَ- كفرح- أي فَنِيَ.

٩ . يغيض- بفتح حرف المضارعة-: من غاض المتعدّي يقال غاض الماء لازماً، وغاضه اللّه متعدّياً، ويقال أغاضه أيضاً، وكلاهما وكلاهما بمعنى أنقصه وأذهب ما عنده.

١٠ . يُبخله بالتخفيف: من أنجلت فلاناً وجدته بخيلاً.

١١ . استصعب الركوب: لم يَنْقَدْ في السير لراكبه.

١٢ . غريزة: طبيعة ومزاج، أي ليس له مزاج كما للمخلوقات الحسّاسة. فينبعث عنه إلى الفعل، بل هو انفعال بماله بمقتضي ذاته، لا بأمر عارض.

عَلَيْها، وَلا تَجْرِبَةٍ أفادَها[1] مِنْ حَوادِثِ الدُّهُور، وَلا شَريكٍ أعانَهُ عَلَى ابْتِداعِ عَجائِبِ الْأُمُور، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْ عَنَ لِطاعَتِهِ، وَأجابَ إلى دَعْوَتِهِ، لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ[2] الْمُبْطِيءِ، وَلا أناةُ[3] الْمُتَلَكِّئِ.

فَأقامَ مِنَ الْأَشْياءِ أوَدَها،[4] وَنَهَجَ[5] حُدودَها، وَلاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضادَّها، وَوَصَلَ أسْبابَ قرائِنِها،[6] وَفَرَّقَها أجْناساً مُخْتَلِفاتٍ في الْحُدودِ وَالْأقْدارِ وَالْغرائِزِ[7] وَالْهَيْئاتِ، بَدايا[8] خَلائِقَ أحْكَمَ صُنْعَها وَفَطَرَها عَلى ماأرا دَ وَابْتَدَعَها[9].

...فَلَمّا أَلْقَتِ السَّحابُ بَرْكَ[10] بَوانِيها، وَبَعاعَ[11] مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبْءِ[12] الْمَحْمُول عَلَيْها، أخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوامِدِ[13] الْأَرْضِ النَّباتَ، وَمِنْ زُعْرِ[14] الْجِبالِ الْأعْشابَ فَهي تَبْهَجُ[15] بِزِينَةِ رِياضِها، وَتَزْدَهِي[16]

---

١ . أفادها: استفادها.

٢ . الريث: التثاقل عن الأمر.

٣ . الأناة: تُؤدَة يمازجها رويّة في اختيار العمل وتركه، والمتلكى ء المتعلّل.

٤ . أودها: اعوجاجها.

٥ . نَهَجَ: عيّن ورَسَمَ.

٦ . وهي النّفس أي وصل حبال النّفوس- وهي عالم النّور- بالأبدان. وهي من عالم الظّلمة.

٧ . الغرائز: الطبائع.

٨ . بدايا: جمع بدي ء، أي مصنوع.

٩ . الخطبة: ٩١ التوحيد للصدوق: ص ٣٤.

١٠ . البرْك- بالفتح- في الأصل: ما يلي الأرض من جلد صدر البعير كالبَرْكة. وبوانيها: تثنية بوان- على وزن فِعال بكسر الفاء-: وهو عمود الخيمة، والجمع بُون بالضّم.

١١ . وبعاع عطف على بَرَك والبَعاع- بالفتح-: ثقل السحاب من الماء. وألقى السّحاب بَعاعَه: أمطر كلّ ما فيه.

١٢ . العِبْ ء: الحِمل.

١٣ . الهوامد من الأرض: ما لم يكن بها نبات.

١٤ . زعر،- بالضّم- جمع أزْعر،وهو الموضع القليل النّبات والأنثى زَعْراء.

١٥ . بَهَجَ- كمنع- سرّ وأفرح.

١٦ . تزدهي: تعجب.

بما أَلْبسَتْهُ مِنْ رَبْطِ[1] أزاهِرِها[2]، وَحِلْيَةِ ما سُمِّطَتْ[3] بِهِ مِنْ ناضِرِ أنْوارِها،[4] وَجَعَلَ ذلِكَ بَلاغاً[5] لِلْأنامِ، وَرِزْقاً لِلأنْعامِ، وَخَرَقَ الْفِجاجَ في افاقِها، وَأقامَ الْمَنارَ لِلسّالِكينَ عَلى جَوادِّ طُرُقِها...[6].

وأما أسباب الفقر عند الإمام علي

إنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ فَرَضَ فى أمْوَالِ الأغْنِياءِ أقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ :

١- ما جاعَ فَقِيرٌ إلّا بِما مَنَعَ بِهِ غَنِيٌّ، واللّهُ تعالى جَدّهُ سائِلُهُمْ عَنْ ذلِكَ[7].

٢- ثُمَّ إنَّ لِلْوالِي خاصَّةً وَبِطانَةً فِيهِمُ اسْتِئْثارٌ وَتَطاوُلٌ، وَقِلَّةُ إنْصافٍ فِي مُعامَلَةٍ، فَاحْسِمْ مادَّةَ أُولئِكَ بِقَطْعِ أسْبابِ تِلْكَ الْأحْوالِ، وَلا تُقْطِعَنَّ لِأحَدٍ مِنْ حاشِيَتِكَ وَحامَّتِكَ قَطِيعَةً، وَلا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيها مِنَ النّاسِ فِي شِرْبٍ أوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ[8].

٣- وَإنَّما يُؤْتى خَرابُ الْأرْضِ مِنْ إعْوازِ أهْلِها، وَإنَّما يُعْوِزُ أهْلُها لِإشْرافِ أنْفُسِ الْوُلاةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفاعِهِمْ بِالْعِبَرِ[9].

...فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أمْرٌ إنْ كُنتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إمامَكَ، وَأخْزَيْتَ أمانَتَكَ، بَلَغَنِي أنَّكَ جَرَّدْتَ الْأرْضَ فَأخَذْتَ ما تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأكَلْتَ ما تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إلَيَّ حِسابَكَ، وَاعْلَمْ أنَّ حِسابَ اللّهِ أعْظَمُ مِنْ حِسابِ النّاسِ...[10].

... أأقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأنْ يُقالَ هذا أمِيرُالْمُؤْمِنِينَ وَلا أُشارِكُهُمْ فِي مَكارِهِ الدَّهْرِ أوْ أكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ، فَما خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أكْلُ الطَّيِّباتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّها عَلَفُها، أوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُها تَقَمُّمُها، تَكْتَرِشُ مِنْ أعْلافِها، وَتَلْهُو عَمّا يُرادُ بِها، أوْ أتْرَكَ سُدىً، أوْ أهْمَلَ عابِثاً، أوْ أجُرَّ حَبْلَ الضَّلالَةِ، أوْ أعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتاهَةِ.[11]

---

١ . رَبَط: جمع رَبَطة- بالفتح- وهي كلّ ثوب رقيق ليّن.

٢ . أزاهر: جمع أزهار الذي هو جمع زهرة بمعنى النبات.

٣ . سُمِط من سَمَط الشي ء أي علّق عليه السُموط وهي الخيوط تنظم عنها القِلادة.

٤ . الأنوار: جمع نَوْر- بفتح النون- وهو الزّهر بالمعنى المعروف.

٥ . البلاغ: ما يُتَبَلَّغُ به من القوت.

٦ . الخطبة: ٩١- العقد الفريد: ٢:٤٠٦ لابن عبد ربه- التوحيد: ص٣٤ للشيخ الصدوق.

٧ . قصار الحكم: ٣٢٨، هذا هو السبب الأوّل للفقر وهو تمركز الثروة عند الأغنياء.

٨ . كتابه الى مالك الأشتر: رقم ٥٣ وهو السبب الثاني وهو حصر مصادر الثروة بطبقة خاصة من الناس.

٩ . وهذا هو السبب الثالث وهو استئثار الحاكم، بالأموال. المصدر السابق.

١٠ . الرساله: ٤٠- العقد الفريد: ٢:٢٩٧ و ٤:٣٥٥.

١١ . الحاكم الصادق هو الذي يشارك شعبه في محنته ويعيش عيشة أضعف الناس فيهم الرسالة ٤٥.

٤ـ لكلّ نعمة مفتاح ومغلاق. فمفتاحها الصَبر، ومغلاقها الكسل-[١].

إياكم والكسل. فانّه من كسل لم يؤدّ للّه حقّاً.[٢]

ـ انّ الأشياء لمّا ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فنتج الفقر.[٣]

٥ـ عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَيَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِي إِيّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيا عَيْشَ الْفُقَراءِ، وَيُحاسَبُ فِي الْاخِرَةِ حِسابَ الْأَغْنِياءِ...[٤].

٦ـ وَاللّهِ لا أَطُورُ بِهِ ما سَمَرَ سَمِيرٌ، وَما أَمَّ نَجْمٌ في السَّماءِ نَجْماً!، وَلَوْ كانَ الْمالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمالُ مالُ اللّهِ! أَلا وَإِنَّ إِعْطاءَ الْمالِ في غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صاحِبَهُ في الدُّنْيا، وَيَضَعُهُ في الْأخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ في النّاسِ، وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللّهِ، وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مالَهُ في غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلاّ حَرَمَهُ اللّهُ شُكْرَهُمْ، وَكانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ...[٥].

ـ فَدَعِ الاسْرافَ مُقْتَصِداً، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَدًا، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حاجَتِكَ.
أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللّهُ أَجْرَ الْمُتَواضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ؟ وَتَطْمَعُ- وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ- أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوابَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِما سَلَفَ وَقادِمٌ عَلى ما قَدَّمَ...[٦]

٧ـ... وَاعْلَمْ- مَعَ ذلِكَ- أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِّنْهُمْ ضِيقاً فاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً،وَاحْتِكاراً لِلْمَنافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي الْبِياعاتِ، وَذلِكَ بابُ مَضَرَّةٍ لِلْعامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلاةِ. فَامْنَعْ مِنَ الْاِحْتِكارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه و آله مَنَعَ مِنْهُ...[٧]

٨ـ ... يا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدِ اسْتَهامَ بِكَ الْخَبِيثُ، أَمارَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ؟ أَتَرَى اللّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّباتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَن تَأْخُذَها؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللّهِ مِن ذلِكَ...[٨].

علاج الفقر الافراد[٩].

---

١ . هذا هو السبب الرّابع للفقر، وهو البطالة والكسل. من الكلمات المنسوبة إلى الإمام، راجع ابن أبي الحديد: ٢٠:٣٢٢ رقم ٦٩٢.

٢ . المصدر السابق: ٢٠:٢٦٣ رقم ٨٠.

٣ . تحف العقول: ص ١٥٤.

٤ . هذا هو السبب الخامس للفقر وهو حبس المال. قصار الحكم: ١٢٦.

٥ . هذا هو السبب السادس للفقر وهو هدر الأموال. الخطة: ١٢٦.

٦ . الرسالة: ٢١ـ أنساب الأشراف: ٢:١٦٩ـ جمهرة رسائل العرب: ١:٥٨٢ لأحمد زكي صفوت.

٧ . هذا هو السبب السابع للفقر وهو حبس المنافع الإحتكار الرسالة: ٥٣.

٨ . هذا هو السبب الثامن للفقر وهو الرهبنة. قاله عليه السلام لعاصم بن زياد لما لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا، قصار الحكم ٢٠٩.

٩ . وجدنا فيما تقدّم من كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام اسباب الفقر، وبالطبع علاجه من خلال رفع تلك الأسباب. ويضاف إليها عوامل أخرى نستخلصها من كلمات الامام عليه السلام وهي تنقسم إلى توصيات أخلاقية، وخطط اقتصادية، امّا الأوّل فنضرب عنها صفحاً وامّا الثّاني فهي التي قرّرها الإمام أميرالمؤمنين ذات ثلاث اتجاهات:
الاتجاه الأوّل: خطوات يقوم بها الأفراد.

طلب العلم[1]

فالعِلْمُ مَقْرُونٌ بالعَمَل، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَالعِلْمُ يَهْتِفُ بالعَمَل، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ[2].

- تعلّموا العلم، فانّه زين للغني، وعون للفقير، ولست أقول إنّه يطلب به، ولكن يدعوه إلى القناعة[3].

- يا كُمَيْلُ بْنَ زِيادٍ، مَعْرِفَةُ العِلْمِ دِينٌ يُدانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسانُ الطّاعَةَ فِي حَياتِهِ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفاتِهِ، وَالْعِلْمُ حاكِمٌ وَالْمالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ[4].

كسب التجربة

عليك بمجالسة أصحاب التجارب، فانها تقدم عليهم باغلى الغلاء وتأخذها منهم بأرخص الرّخص[5].

- في التجارب علم مستأنف، والاعتبار يفيدك الرّشاد، كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وعليك لأخيك مثل الّذي عليه لك[6].

- لم يذهب من مالك ما وعظك[7].

العمل

الْحَمْدُ للهِ الْواصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ، وَالنِّعَمِ بِالشُّكْرِ. نَحْمَدُهُ عَلى الائِهِ، كَما نَحْمَدُهُ عَلى بَلائِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلى هذِهِ النُّفُوسِ الْبِطاءِ[8] عَمّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّراعِ[9] إلى ما نُهِيَتْ عَنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمّا أَحاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَاَحْصاهُ كِتابُهُ: عِلْمٌ غَيْرُ قاصِرٍ، وَكِتابٌ غَيْرُ مُغادِرٍ،[10] وَنُؤْمِنُ بِهِ إيمانَ مَنْ عايَنَ الْغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ إيماناً نَفى إخْلاصُهُ الشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاشَرِيكَ

الاتجاه الثاني: خطوات يقوم بها المجتمع.
الاتجاه الثالث: خطوات يقوم بها الدولة.

١ . هو الاتجاه الأوّل .

٢ . قصار الحكم: ٣٦٦.

٣ . قصار الحكم ابن أبي الحديد: ٢٠:٣١٠، رقم ٥٥٣.

٤ . قصار الحكم: ١٤٧.

٥ . قصار الحكم: ابن أبي الحديد: ٢٠:٣٣٥. رقم ٨٤٦.

٦ . قصار الحكم ابن أبي الحديد: ٢٠:٢٥٩، رقم ٣٤.

٧ . قصار الحكم: ١٩٢.

٨ . البطاء- بكسر الباء- جمع بطينة.

٩ . السّراع: جمع سريعة.

١٠ . غير مغادر: غير تارك شيئاً إلّا أحاط به.

لهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَالِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهادَتَيْن تُصْعِدان الْقَوْلَ، وَتَرْفَعان الْعَمَلَ: لايخِفُّ مِيزانٌ تُوضَعان فَيهَ، وَلا يَثْقُلُ مِيزانٌ تُرْفَعان مِنْهُ...

عِبادَ اللهِ! إنَّ تَقْوَى اللهِ حَمَتْ[1] أوْلِيْاءَ اللهِ مَحارِمَهُ، وَألْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخافَتَهُ حَتّى أسْهَرَتْ لَيالِيَهُمْ، وَأظْمَاتْ هَوا جِرَ هُمْ[2]، فَأخَذوُا الرّاحَةَ بِالنّصَبِ،[3] وَالرِّيَّ بِالظمأ، وَاسْتَقْرَبُوا الأجَلَ، فَبادَرُوا الْعَمَلَ، الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأمَلَ، فَلاحَظوُا الْأجَلَ... وَاعْلَمُوا أنَّ ما نَقَصَ مِنَ الدُّنْيا وَزادَ فِي الْأخِرَةِ خَيْرٌ مِمّا نَقَصَ مِنَ الْأخِرَةِ وَزادَ فِي الدُّنْيا، فَكَمْ مِنْ مَنقُوصٍ رابِحٍ، وَمَزِيدٍ خاسِرٍ. إنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهيتُمْ عَنْهُ، وَما أُحِلَّ لَكُمْ أكْثَرُ مِمّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، فَذَرُوا ما قَلَّ لِما كَثُرَ، وَما ضاقَ لِمَا اتَّسَعَ. قَدْ تُكُفِّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَأُمِرْتُمْ بِالعَمَلِ، فَلا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أوْلى بِكُم مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أنَّهُ، وَاللَّهِ، لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّكُّ وَدَخَلَ[4].

الْيَقِينُ، حَتّى كَأنَّ الَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأنَّ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنكُمْ، فَبادِرُوا الْعَمَلَ، وَخافُوا بَغْتَةَ الْأجَلِ...[5]

التدبير

لامالَ أعْوَدُ[6] مِنَ الْعَقْلِ، وَلا وَحْدَةَ أوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ[7] وَلا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ...[8]

لِلْمُؤْمِنِ ثَلاثُ سَاعَاتٍ: فسَاعةٌ يُنَاجِي فِيها رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَرُمُّ[9] فِيهَا مَعَاشَهُ، وَسَاعَةٌ يُخَلِّي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ، وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أنْ يَكُونَ شَاخِصاً إلَّا فِي ثَلاثٍ: مَرَمَّةٍ[10] لِمَعَاشٍ، أوْ خُطْوَةٍ فِى مَعَادٍ،[11] أوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ.[12]

---

١ . حَمَى الشي ء: منعه، أي منعتهم ارتكاب محرّماته.

٢ . الهواجر: جمع هاجرة، شدّة حرّ النّار، وقد أظْمِئَتْ هذه الهواجر بالصيام.

٣ . النصب: التعب.

٤ . دَخِل:- كفرح- خالطه فساد الأوهام.

٥ . الخطبة: ١١٤- الطراز: ٢:٣٣٥، للسيد اليماني.

٦ . أعود: أنفع.

٧ . العُجب- بضمّ العين-: الإعجاب بالنّفس.

٨ . قصار الحكم: ١١٣.

٩ . يرم- بكسر الزاء وضمّها-: أي يُصلح.

١٠ . المرمّة:- بالفتح- الاصلاح.

١١ . المعاد: ما تعود إليه في القيامة.

١٢ . قصار الحكم: ٣٩٠.

ترشيد الانفاق[1]

ما عالَ من اقْتَصَدَ.[2]

الانتاج والاستثمار

من وجد ماءً وتراباً ثم افتقر فابعده اللّه.[3]

- ولا يزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من اين اكتسبه، وفيمّ انفقه وعما عمل فيم علم.[4]

انتهاز الفرص

الفرصة تمرّ مر السحاب فانتهزوا فرص الخير.[5]

بادروا الفرصة قبل أن تكون غصة.[6]

العطاء المتواصل

مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ.[7]

انفاق الزكاة

سُوسُوا[8] إيمانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا أَمْوالَكُمْ بِالزَّكاةِ، وَادْفَعُوا أَمْواجَ الْبَلاءِ بِالدُّعاءِ.[9]

تنظيم الأسرة

قِلَّةُ الْعِيالِ أَحَدُ الْيَسارَيْنِ.[10]

---

١ . عندما يخرج الانفاق عن حسابات الدخل يضطرب الوضع الاقتصادي للفرد والمجتمع فلابدّ وان يكون الانفاق دائماً مناسباً للدخل مقتصراً على الضروريات ويترك الامور غير الضرورية فقد جاء في وصف الإمام عليه السلام للمتقين في وصيتة لهمام: وملبسهم الاقتصاد وهذا لا يعني أنهم يلبسون ملابس رخيصة بل معنى ذلك هو أنّ الاقتصاد هو منهجهم وطريقهم في الحياة. الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة.

٢ . قصار الحكم: ١٤٠ وهو تقرير ثابت بأنّ المقتصد لا يرى الفقر في حياته لأنه يقتصر في حياته على الضروريات ولا يُبذر ماله ماله في لا شي ء هذا هو الترشيد المطلق للمال.

٣ . وسائل الشيعة ٦:٢٤.

٤ . ابن أبي الحديد: ٢٠:٢٥٩، رقم ٣٣.

٥ . قصار الحكم: ٢١.

٦ . الكتاب: ٣١.

٧ . قصار الحكم: ٢٣٢.

٨ . سوسوا: امر من السياسة وهي حفظ الشي ء بما يحوطه من غيره، والصدقة تستحفظ الشفقة، والشفقة تستزيد الايمان وتذكر وتذكر اللّه.

٩ . قصار الحكم: ١٤٦.

١٠ . قصار الحكم: ١٤١.

علاج الفقر المجتمع[1]

التكافل الاجتماعي

إنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ فَرَضَ فى أمْوَالِ الأغْنِياءِ أقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فما جاعَ فَقِيرٌ إلّا بما مَنَعَ بِهِ غَنِيٌّ، واللّهُ تعالى جَدّهُ سائِلُهُمْ عَنْ ذلِكَ.[2]

- انعم الناس عيشاً من عاش في عيشة غيره.[3]

اقامة التعاونيات

لا تدع اللّه ان يغنيك عن الناس فان حاجات الناس بعضهم الى بعض متصله كاتصال الاعضاء فمتى استغنى المرء عن يده او رجله ولكن ادع اللّه ان يغنيك عن شرارهم.[4]

الرقابة على الدولة

يا[5] اهل الكوفة! ان خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن.وكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة من ينبع.[6]

الضمان الاجتماعي[7]

يقول الامام في عهده للاشتر :

ثُمَّ اللّهَ اللّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُم مِنَ الْمَساكِينِ وَالْمُحْتاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسى[8] وَالزَّمْنى[9] فَإنَّ فِي هذِهِ الطَّبَقَةِ قانِعاً[10] وَمُعْتَراً[11] وَاحْفَظْ لِلّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ[1] مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ

---

١ . هذا هو الاتجاه الثاني وهو خطوات يقوم بها المجتمع.

٢ . قصار الحكم: ٣٢٨.

٣ . ابن ابي الحديد: ٢٠:٣٠٠- رقم ٤٣٢.

٤ . ابن ابي الحديد: ٢٠:٣٢٢- رقم ٦٩٥.

٥ . يقول الامام عليه السلام يوم مجيئه للحكم.

٦ . وسائل الشيعة: ١١:٨٣.

٧ . هذا هو الاتجاه الثالث، وهو خطوات تقوم بها الدولة.

٨ . البؤسى - بضم أوّله -: شدّة الفقر.

٩ . الزمنى- بفتح اوّله-: جمع زمين وهو المصاب بالزمانة- بفتح الزاي- أي العاهات، يريد ارباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب.

١٠ . القانع: السائل.

١١ . المعتر- بتشديد الراء-: المتعرّض للعطاء بلا سؤال.

قِسْماً مِنْ بَيْتِ مالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَلاّتِ[2] صَوافِي[3] الاَسْلامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإنَّ لِلأقْصى مِنْهمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأدْنى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ...

... وَتَعَهَّدْ أهْلَ اليُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ[4] فِي السِّنِّ مِمَّنْ لا حِيلَةَ لَهُ، وَلا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذلِكَ عَلَى الْوُلاةِ ثَقِيلٌ وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ.

... وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحاجاتِ[5] مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُم مَجْلِساً عامّاً فَتَتَواضَعُ فِيهِ لِلّهِ آلَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ[6] عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأعْوانَكَ مِنْ أحْراسِكَ[7] وَشُرَطِكِ[8] حَتّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ[9] فَإنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه و آله يَقُولُ فِي غَيْرِمَوْطِنٍ:[10]

'لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيها حَقُّهُ مِنَ الْقَوِىِّ... وَنَحِّ[11] عَنْهُمُ الضِّيقَ[12] وَالْأَنَفَ[13] يَبْسُطِ اللّهُ عَلَيْكَ بِذلِكَ أكْنافَ[14] رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوابَ طاعَتِهِ، وَأعْطِ ما أعْطَيْتَ هَنيئاً[15] وَامْنَعْ[16] فِي إجْمالٍ وَإعْذارٍ.[1]

---

١ . استحفظك: طلب منك حفظه.

٢ . غلات: ثمرات.

٣ . صوافي الاسلام- جمع صافية-: وهي أرض الغنيمة.

٤ . ذوو الرقة في السن: المتقدمون فيه.

٥ . لذوي الحاجات: المتظلمين تتفرغ لهم فيه بشخصك للنظر في مظالمهم.

٦ . تقعد عنهم جندك:تأمر بأن يقعد عنهم ولا تتعرض لهم جندك.

٧ . الاحراس- جمع حرس بالتحريك- وهو من يحرس الحاكم من وصول المكروه.

٨ . الشرط- بضم ففتح- طائفة من اعوان الحاكم، وهم المعروفون بالضابطة، واحده شرطة- بضم فسكون.

٩ . التعتعة في الكلام: التردد فيه من حصر أوعيّ، والمراد غير خائف تعبيراً باللازم.

١٠ . في غير موطن: اي في مواطن كثيرة.

١١ . نحّ: فعل أمر من نحّى يتنحى، اي أبعد عنهم.

١٢ . الضيق: ضيق الصدر بسوء الخلق.

١٣ . الأنف- محركة- الاستنكاف والاستكبار.

١٤ . اكناف الرحمة: أطرافها.

١٥ . هنيئاً: سهلاً لا تخشنه باستكثاره والمن به.

١٦ . امنع في اجمال واعذار: واذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر.

الرقابة على السوق

... ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجّارِ وَذَوِي الصِّناعاتِ وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً، الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِ[٢] بِمالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ[٣] بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُم مَوادُّ الْمَنافِعِ، وَأَسْبابُ الْمَرافِقِ[٤] وَجُلّابُها مِنَ الْمَباعِدِ وَالْمَطارِحِ[٥] فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لايَلْتَئِمُ[٦] النّاسُ لِمَو اضِعِها، وَلا يَجْتَرِؤُونَ عَلَيْها، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ[٧] لاتُخافُ بائِقَتُهُ[٨] وَصُلْحٌ لا تُخْشى غائِلَتُهُ. وَتَفَقَّدْ أُمورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَواشِي بِلادِكَ، وَاعْلَمْ، مَعَ ذلِكَ، أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِّنْهُمْ ضِيقاً[٩] فاحِشاً، وَشُحّاً[١٠] قَبِيحاً، وَاحْتِكاراً[١١] لِلْمَنافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي الْبِياعاتِ، وَذلِكَ بابُ مَضَرَّةٍ لِلْعامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلاةِ، فَامْنَعْ مِنَ الْإِحْتِكارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه و آله مَنَعَ مِنْهُ، وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعارٍ لا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبائِعِ وَالْمُبْتاعِ[١٢]، فَمَنْ قارَفَ[١٣] حُكْرَةً[١٤] بَعْدَ نَهْيِكَ إِيّاهُ فَنَكِّلْ[١٥] بِهِ، وَعاقِبْ فِي غَيْرِ إِسْرافٍ[١٦]،.[١٧]

---

١ . كتابه الى مالك الاشتر: ٥٣ تحف العقول: ص ١٢٦ـ دعائم الاسلام: ١: ٣٥٠.

٢ . المضطرب بماله: المتردد به بين البلدان.

٣ . المترفق: المكتسب.

٤ . المرافق: ما ينتفع به من الادوات والآنية.

٥ . المطارح: الأماكن البعيدة.

٦ . لا يلتئم الناس لمواضعها: اي لا يمكن التئام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق من تلك الأمكنة.

٧ . أنهم سلم: أي أنّ التجار والصناع مسالمون.

٨ . البائقة: الداهية.

٩ . الضيق: عسر المعاملة.

١٠ . الشح: البخل.

١١ . الاحتكار: حبس المنافع المطعوم ونحوه عن الناس عند الحاجة اليها لا يسمحون به إلّا بأثمان فاحشة.

١٢ . المبتاع: هنا، المشتري.

١٣ . قارف: اي خالط.

١٤ . الحكرة- بالضم-: الأحتكار.

١٥ . فنكّل به: اي أوقع به النكال والعذاب، عقوبة له.

١٦ . في غير اسراف:اي من غير أن يتجاوز حدّ العدل.

١٧ . انظر كتاب للاقتصاد في نهج البلاغة لسيد محسن الموسوي.

نظام الادارة

باعتبار أن نهج البلاغة هو مجموعة الخُطب والرسائل التي بعث بها الامام أميرالمؤمنين (عليه السلام) الى ولاته، فهو كتابٌ غنيٌ بالأفكار الادارية ويتضمن قدراً كبيراً من القواعد والاساليب في فن الادارة تتضمنها عباراته القصيرة، وليس من الصعب إستخراج هذه الافكار والأساليب ووضعها في إطار نظرية متكاملة في الادارة، إذ أنْ أميرالمؤمنين (عليه السلام) بين أفكاره في الادارة بحسب الحاجة، وهي تغفو في خطبه ورسائله وليس من السهل إيقاظها وتفعيلها لتخرج إلى أشعة الشمس كفكرة موحدة البناء متسقة الأعضاء والأطراف. فكان لابُدّ من بذل عملٍ شاق في جمع هذه الأفكار واستخراجها من مواطن سياتها، ومن تم ربطها من جديد وحياكة أنسجتها لتصبح منطقة واحدة منتظمة الأبعاد والأشكال. وبعد عهد الامام أميرالمؤمنين إلى وإليه مالك الأشتر من بين النصوص المهمة في نهج البلاغة التي تتناول القضايا الادارية، فهو مصدر مهم جداً للفكر الاداري الاسلامي. وإلى جانب كلماته جاءت سيرته المتطابقة مع قوله حافلة هي الأخرى بالفكر الاداري فقد حكم الامام الدولة الاسلامية بين ٤٠-٣٥ للهجرة في أشدّ الظروف السياسية قداوة، وعلى رغم قصر المُدة وإتصافها بالفلافل والاضطرابات فقد أرسى نظاماً إدارياً يفوق في متانته وتطوره الخلفاء الذين سبقوهُ. لقد جاءت تعليماته الادارة شامل لكل أبواب الادارة وكل ما يحتاجه المدى في ادارة الأمور.

فمن جانب التقصير في العمل يجلب الهمّ: من قصّر في العمل ابتلي بالهمِّ.[١] .

ومن جانب التوصية بالصبر: لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان.[٢]

ومن ناحية أخرى يوصي الامام المدير أن يبتعد عن:
الاستبداد: مَن استبد برأيه هلك.[٣]

التفريط في الأمور: ثمرة التفريط الندامة.[٤]

ثم يبين الامام عوامل الادارة القوية:
آلة الرئاسة سعة الصدر.[٥]

من لان عوده كثفت أعضائه.[٦]

البشاشة حبالة المودة.[٧]

قليل تدوم عليه أرجى من كثيرٍ مملول منه.[١]

---

١ . قصار الكلمات: ١٢٧.

٢ . قصار الكلمات: ١٥٣.

٣ . قصار الكلمات: ١٦١.

٤ . قصار الكلمات ١٨١.

٥ . قصار الكلمات: ١٧٦.

٦ . قصار الكلمات: ٥٤.

٧ . قصار الكلمات: ١.

الادارة والنظام الاداري عند الامام علي[٢]

صفات المدير

في مجال الشكل الظاهري

- جمال الرجل الوقار.[٣]

- الجمال الظاهر حسن الصورة، والجمال الباطن حسن السريرة.[٤]

الليونة وسعة الصدر

- مَنْ لانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أغْصانُهُ[٥]،[٦]

- آلَةُ الرِّياسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ.[٧]

ضبط النفس والحيلولة دون الغضب

- أَلْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ، لِأَنَّ صاحِبَها يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكَمٌ.[٨]

- الْحِلْمُ[٩] والأناةُ[١٠] تَوْأَمَانِ[١١] يُنْتِجُهُما عُلُوُّ الهِمَّةِ[١٢].

---

١ . قصار الكلمات: ٢٧٨.

٢ . انّ الادارة عند اميرالمؤمنين علي عليه السلام ليست فعلاً ميكانيكياً، بل هي مجموعة صفات وخصال انسانية، تظهر وتتشكل في المدير، فلا ادارة بدون تنظيم، ولا تنظيم الّا بمنظّم وهو المدير الجيّد.
ونحن نذكر هنا بعض شروطها واصولها: اعلم ان اللفظ الذي استخدمه المسلمون والعرب للدلالة على معنى الادارة هو لفظ التدبير، اذ ورد هذا اللفظ للدلالة على مفهوم الادارة في امّهات مصادر الفكر الاداري والسياسي عند المسلمين كالأحكام السلطانية للماوردي. وكان قدورد اللفظ في كتاب اللّه العزيز واحاديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وفي كلمات اميرالمؤمنين علي عليه السلام.

٣ . الغرر: ٣٦٢:٣.

٤ . الغرر: ١٣:١.

٥ . يريد من لين العود: طراوة الجثمان الانساني ونضارته بحياة الفضل وماء النحمة وكثافة الاغصان كثرة الاثار التي تصدر عنه كانها فروعه، ويريد بها كثرة الأعوان.

٦ . قصار الحكم: ٢١٤.

٧ . قصار الحكم: ١٧٦.

٨ . قصار الحكم: ٢٥٥.

٩ . الحلم- بالكسر-: حبس النفس عند الغضب.

١٠ . الإناة: يريد بها التأني.

١١ . التوأمان: المولودان في بطن واحد، والتشبيه في الاقتران والتوالد من اصل واحد.

١٢ . قصار الحكم: ٤٦٠.

مداراة الأفراد

- التَوَدُّدُ الى الناس رأس العَقل.[1]

- رأس الحكمة مداراة الناس.[2]

العفو عن المسيئين

- أوْلَى النّاسِ بالعَفْوِ أقْدَرُهُمْ عَلَى العُقُوبَةِ.[3]

التأني في إصدار القرارات

- مِنْ الخُرق[4] المُعَاجَلَةُ قَبْلَ الْإِمْكَانِ، وَالْأَنَاةُ[5] بَعْدَ الْفُرْصَةِ[6].[7]

بذل الوسع

- من بذل جهد طاقته بلغ كنه إرادته[8].

انجاز العمل في وقته

- أحزم الناس رأياً من أنجز وعده ولم يؤخر عمل يومه لغده.[9]

التقدم الدائم

- لايَرْضَوْنَ مِنْ أعْمالِهِمْ القَلِيلَ، وَلايَسْتَكْثِرُونَ الكَثِيرَ...[10]

- الكيّس "المدير المدبر للامور" من كان يومه خيراً من أمسه[11].

---

١ . الغرر: ٣٥٤:١.

٢ . الغرر: ٥٢:٤.

٣ . قصار الحكم: ٥٢.

٤ . الخرق- بالضم-: الحمق وضدّ الرفق.

٥ . الإناة: التأني.

٦ . الفرصة: ما يمكّنك من مطلوبك.

٧ . قصار الحكم: ٣٦٣.

٨ . الغرر: ٣٦٨:٥.

٩ . الغرر: ٤٧٢:٢.

١٠ . الخطبة: ١٩٣- كتاب سليم بن قيس ص ٢١١- عيون الاخبار: ٣٥٢:٢ لابن قتيبة.

١١ . الغرر:٥٠:٢.

- والخائن من... كان يومه شرّاً من أمسه[1].

كسب رضا العاملين

- وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاتَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ...[2]

وظائف المدير

التفكير[3]

اهمية التفكير[4].

- الفكر عبادة[5].

- فكر ساعة قصيرة خير من عبادة طويلة.[6]

- المؤمن كثير التفكّر.[7]

- المؤمن مغمور بفكرته.[8]

- الفكر إحدى الهدايتين.[9]

فوائد التفكير

انقاذ من الضلال

- الفكر يهدي الى الرشد.[10]

- عليك بالفكر فانّه رشد من الضّلال.[1]

---

١ . الغرر: ٢:١١٠.

٢ . الرسائل: ٥٣- تحف العقول: ص ١٢٦ لابن شعبة الحراني.

٣ . الاتجاه العام في كلام اميرالمؤمنين علي عليه السلام هو الأخذ بالوظائف الأساسية للمدير، فقسط من أعباء الإدارة تقع على المدير نفسه، وقسط منها تقع على التابعين لهذه الدائرة،فمن جانب يدعو اميرالمؤمنين عليه السلام إلى التفكير، ويدعو من جانب آخر الى المشورة للاستفادة من آراء الآخرين. واستناداً الى هذين الركنين: التفكير والمشورة يتمكّن المدير من التخطيط.

٤ . هذا هو الركن الأول للمديرية.

٥ . الغرر: ٤:٤١٤.

٦ . الغرر: ٢:٨٤.

٧ . الغرر: ٢:٣٨١.

٨ . الغرر: ٣:٢٧٤.

٩ . الغرر: ٢:٢١.

١٠ . الغرر: ١:١٧٢.

- فكر العاقل هداية.[٢]

حصانة من الزّلل

- الفكر في الأمر قبل ملابسته يؤمن الزلل.[٣]

التخلص من الشك

- بتكرر الفكر يخاب الشك.[٤]
- بالفكر تصلح الروية.[٥]

كشف خفايا الأمور

- بالفكر تنجلي غياهب الأمور.[٦]
- الفكر... يثمر الاستظهار.[٧]

صقل العقل

- الفكر جلاء العقول.[٨]

اخذ العبر

- تفكرك يفيدك الإستبصار ويكسبك الإعتبار.[٩]
- الفكر يوجب الإعتبار.[١٠]

---

١ . الغرر: ٤:٢٩٤.

٢ . الغرر: ٤:٤١٢.

٣ . الغرر: ٢:٢٨.

٤ . الغرر: ٣:٢٢٠.

٥ . الغرر: ٣:٢٦.

٦ . الغرر: ٣:٣٣٤.

٧ . الغرر: ٢:١٤٣.

٨ . الغرر: ١:٣٣٢.

٩ . الغرر: ٣:٣١٦.

١٠ . الغرر: ٢:١٤٣.

معالجة الأمور

- طول الفكر يحمد العواقب ويستدرك فساد الأمور.[١]
- طول التفكير يصلح عواقب التدبير.[٢]

اكتشاف الأخطاء ومعرفة الصواب

- فكر المرء مرآة تريه حسن عمله من قبحه.[٣]

كسب الاعتبار عند النّاس

- ماذلّ من أحسن الفكر.[٤]

السلامة وحسن العاقبة

- اصل العقل الفكر، وثمرته السلامة.[٥]
- اصل السلامة من الزلل الفكر قبل العمل.[٦]

منهجية التفكير[٧]

- شاور قبل ان تعزم، وفكر قبل أن تقدم.[٨]
- انّما البصير من سمع ففكر، ونظر فأبصر، وانتفع بالعبر.[٩]
- دع الحدة، وتفكر في الحجّة.[١٠]

---

١ . الغرر: ٤:٢٥٢.

٢ . الغرر: ٤:٢٥٩.

٣ . الغرر: ٤:٤١٥.

٤ . الغرر: ٣:٣١٦.

٥ . الغرر: ٦:٥١.

٦ . الغرر: ٢:٤١٨.

٧ . الاسلام يدعو الى التفكير السليم الذي يؤدّي وظيفة عقلية ووظيفة اجتماعية.

فما هي أسس التفكير السّليم في الاسلام، وكيف نستنبط هذه الاسس من كلمات اميرالمؤمنين علي عليهماالسلام، من تحليل النصوص الواردة عن الامام عليه السلام يتبين لنا ان للتفكير مقدمات لابدّ أن يلتفت اليها من يمارس عملية التفكير تجربة وبطريقة سليمة، ومن ثمّ يسمع آراء الآخرين، ويبدأ بتحليل هذه الآراء ومناقشتها مناقشة موضوعية، وبعد ذلك يصدر رأيه فيها، ثمّ يضع خطة للعمل بموجب تلك النتائج، واليك هذه النصوص.

٨ . الغرر: ٤:١٧٩.

٩ . الغرر: ٣:٨٥.

١٠ . الغرر: ٤:١٩.

- ينبغي للمؤمن أن يستحي اذا اتصلت له فكرة في غير طاعة.[١]
- التدبير بالرأي والرأي بالفكر.[٢]
- ألا وإنّ اللبيب من استقبل وجوه الآراء بفكر صائب ونظر في العواقب.[٣]
- صواب الرّأي بإجالة الأفكار.[٤]

المشورة[٥]

- نعم المظاهرة المشاورة.[٦]
- الاستشارة عين الهداية.[٧]
- افضل الناس رأياً من لا يستغني عن رأي مشير.[٨]
- ولا ظهير كالمشاورة.[٩]
- ولا مظاهرة أوثق من المشاورة.[١٠]
- ما ضلّ من استشار.[١١]

---

١ . الغرر: ٤٤٠:٦.

٢ . الغرر: ٢٠:١.

٣ الغرر: ٣٣٧:٢.

٤ . الغرر: ٢٠١:٤.

٥ . هذا هو الركن الثاني للمديرية، اعتمد الاسلام الشورى كمبدأ عام في الحياة، فقد طالب القرآن الكريم، الحاكم بالمشورة، وطلب من الأمة التشاور في آيتين منفصلتين، ونستطيع أن نقسّم كلمات اميرالمؤمنين علي عليه السلام في الشورى إلى:
١ـ أهمية الشورى.
٢ـ فوائد الشورى.
٣ـ شروط المستشير.
٤ـ شروط المستشير.
٥ـ العلاقة بين المشير والمستشير.
٦ـ عواقب ترك الاستشارة او مخالفتها.
٧ـ ما تعترض الشورى من نواحي الضعف.
واليك هذه النصوص بالترتيب.

٦ . الغرر: ١٥٧:٦.

٧ . الغرر: ٤٠٨:٤.

٨ . الغرر: ٤٢٩:٢.

٩ . قصار الحكم: ٥٤.

١٠ . قصار الحكم: ١١٣.

١١ . الغرر: ٥٠:٦.

- لا يستغني العاقل عن المشاورة.[١]

فوائد الشورى

- من شاور ذوي العقول استضاء بانوار العقول.[٢]
- من شاور الرجال شاركها في عقولها.[٣]
- باكروا فالبركة في المباكرة، وشاوروا فالنجح في المشاورة.[٤]
- المشورة تجلب لك صواب غيرك.[٥]
- من لزم المشاورة لم يعدم عند الصواب مادحاً.[٦]
- ما استنبط الصواب بمثل المشاورة.[٧]

شروط المشير "المشاور"

- من شاور ذوي النهى والألباب فاز بالنجح والصواب.[٨]
- افضل من شاورت، ذوي التجارب.[٩]
- شاور في امورك الذين يخشون اللّه ترشد.[١٠]
- استشر عدوك العاقل واحذر رأي صديقك الجاهل.[١١]
- مشاورة الجاهل المشفق خطر، ومشاورة الحازم المشفق ظفر.[١٢]

---

١ . الغرر: ٣٨٩:٦.

٢ . الغرر: ٣٣٦:٥.

٣ . الغرر: ٣٤٠:٥.

٤ . الغرر: ٢٦٤:٣.

٥ . الغرر: ٣٩٠:١.

٦ . الغرر: ٤٠٦:٥.

٧ . الغرر: ٦٤:٦.

٨ . الغرر: ٣٣٧:٥.

٩ . الغرر: ٤٥٦:٢.

١٠ . الغرر: ١٧٩:٤.

١١ . الغرر: ٢٣٦:٢.

١٢ . الغرر: ٢٤٩:٦.

شروط المستشير

- لا تشاور عدوك واستره خبرك.[١]
- لا تستشير الكذاب.[٢]
- لا تدخلن في مشورتك بخيلاً.[٣]
- لا تشركن في مشورتك حريصاً.[٤]
- لا تشركن في رأيك جباناً.[٥]
- وَإِيَّاكَ وَمُشاوَرَةَ النِّساءِ فَإِنَّ رَأيهُنَّ إلى أفْنٍ.[٦]

العلاقة بين المشير والمستشير

- جهل المشير، هلاك المستشير.[٧]
- على المشير الاجتهاد في الرأي، وليس عليه ضمان النجح.[٨]
- لا تردن على النصيح ولا تستغشنّ المشير.[٩]
- من ضل مشيره بطل تدبيره.[١٠]
- من نصح مستشيره صلح تدبيره.[١١]
- من غش مستشيره سلب تدبيره.[١٢]

---

١ . الغرر: ٢٦٩:٦.

٢ . الغرر: ٣١٠:٦.

٣ . الغرر: ٣٠٨:٦.

٤ . الغرر: ٣١٠:٦.

٥ . الغرر: ٣٠٩:٦.

٦ . باب الوصايا: ٣١- من لا يحضره الفقيه: ٣٦٢:٣.

٧ . الغرر: ٣٦٧:٣.

٨ . الغرر: ٣١٦:٤.

٩ . الغرر: ٢٨٧:٦.

١٠ . الغرر: ١٨٧:٥.

١١ . الغرر: ٢١٦:٥.

١٢ . الغرر: ٢١٧:٥.

عواقب ترك الاستشارة أو مخالفتها

- من خالف المشورة ارتبك.[1]
- من قنع برأيه ذلّ.[2]
- قد خاطر من استغنى برأيه.[3]
- من أعجب برأيه ذلّ.[4]
- من أعجب برأيه ملك العجز.[5]
- من استبد برأيه خاطر وغرر.[6]
- ما أعجب برأيه الّا جاهل.[7]

ما تعترض الشورى من نواحي الضعف

- شرّ الآراء ما خالف الشريعة.[8]
- آفة المشاورة انتقاض الآراء.[9]
- خير الآراء أبعدها من الهوى.[10]

التخطيط[11]

- التدبير قبل العمل يؤمن الندم.[1]

---

١ . الغرر: ١٥٣:٣.

٢ . الغرر: ١٧٠:٥.

٣ . الغرر: ٤٧٣:٤.

٤ . الغرر: ٢٠١:٥.

٥ . الغرر: ٢٥٣:٥.

٦ . الغرر: ٤٦١:٥.

٧ . الغرر: ٥٣:٦.

٨ . الغرر: ١٦٣:٤.

٩ . الغرر: ١٠٢:٣.

١٠ . الغرر: ٤٣٢:٣.

١١ . وهذا هو الركن الثالث، التخطيط ركن مهم في الحياة، فلا يستطيع الانسان أن يحيا بدون أن يخطط لحياته، وقد استخدم اميرالمؤمنين عليه السلام لفظ التدبير في بعض الأماكن للدلالة على معنى التخطيط كما في المتن.
والتخطيط عند الامام علي عليه السلام هو لب الادارة، وهو الاساس الذي بدونه تضحى الادارة واهية. وعند تحليل التخطيط نلاحظ أنه ينشأ من عناصر خمسة كما سنبين في المتن.

- التدبير قبل الفعل يؤمن العثار.[٢]

التّحسس بأهميّة الزمن.[٣]

- الساعات شهب الأعمار.[٤]

- ما أَسْرَعَ السّاعاتِ فِي الْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ الْأَيّامَ فِي الشَّهْرِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ.[٥]

- نفس المرء خطاه الى أجله.[٦]

- من اخرّ الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها.[٧]

- كيف يفرح بعمر تنقصه الساعات.[٨]

- انّ الليل والنهار يأخذان منك، فخذ منهما.[٩]

التقديم والتأخير

امّا التقديم :

- المرء ابن ساعته.[١٠]

- فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمْ لِيَدِيكَ.[١١]

- الحازم من جاد بما في يده ولم يؤخّر عمل يومه الى غده.[١٢]

---

١ . الغرر: ٣٧٢:١.

٢ . الغرر: ٣٨٤:١.

٣ . هذا هو اوّل عناصر الخمسة ويأتي بعده عناوين الاربعة بالترتيب.

٤ . الغرر: ٩٤:١.

٥ . الخطبة: ١٨٨- بحارالانوار: ٤٣٣:٧٧.

٦ . قصار الحكم: ٧٤.

٧ . الغرر: ٣٧٠:٥.

٨ . الغرر: ٥٦١:٦.

٩ . الغرر: ٦٦٧:٢.

١٠ . الغرر: ٢٢٢:١.

١١ . الغرر: ٨٢:٦.

١٢ . الغرر: ٨١:٢.

امّا التاخير :

- فكر ثمّ تكلّم، تسلم من الزلل.[1]

الاهم فالمهم

- من اشتغل بالفضول فاته مهمّه المأمول.[2]
- دع مالا يعنيك واشتغل بمهمك الذي ينجيك.[3]
- إنّ رأيك لا يتّسع لكلّ شيءٍ ففرّغه للمهم.[4]
- من اشتغل بغير المهم ضيّع الأهم.[5]

الاعداد للمستقبل

- أَمْسِكْ مِنَ الْمالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ فاقَتِكَ.[6]
- اجعل زمان رخائك عدّة لأيّام بلائك.[7]
- خذ ممّا لا يبقى لك لما يبقى لك ولا يفارقك.[8]
- أَنَّ أَمامَكَ طَرِيقاً ذامَسافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لاغِنى بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيادِ، وَقَدْرِ بَلاغِكَ مِنَ الزّادِ.[9]

تقسيم الوقت

- إنّ ليلك ونهارك لا يستوعبان لجميع حاجاتك فأقسمها بين عملك وراحتك.[10]
- لِلْمُؤْمِنِ ثَلاَثُ سَاعَاتٍ: فسَاعةٌ يُنَاجِي فِيها رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَرُمُّ فِيهَا مَعَاشَهُ، وَسَاعَةٌ يُخَلِّى فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيما يَحِلُّ وَيَجْمُلُ.[1]

---

١ . الغرر: ٤٢٤:٤.

٢ . الغرر: ٣٣٦:٢.

٣ . الغرر: ١٨:٤.

٤ . الغرر: ٣٠٦:٢.

٥ . الغرر: ٢٣٠:٥.

٦ . الغرر: ٢١٠:٢.

٧ . (١٦٣)

٨ . الغرر: ٤٤٠:٣.

٩ . الغرر: ٥٣٦:٢.

١٠ . الغرر: ٦٠٦:٢.

الاشراف[٢]

- وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذلِكَ صابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ قَرابَتِكَ وَخاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ.[٣]

- وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَراجِ بِما يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلاحِهِ وَصَلاحِهِمْ صَلاحاً لِمَنْ سِواهُمْ، وَلا صَلاحَ لِمَنْ سِواهُمْ إِلاّ بِهِمْ، لِأَنَّ النّاسَ كُلَّهُمْ عِيالٌ عَلَى الْخَراجِ وَأَهْلِهِ.[٤]

الجهاد

فضل الجهاد

أَمّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهادَ بابٌ مِنْ أَبْوابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللّهُ لِخاصَّةِ أَوْلِيائِهِ، وَهُوَ لِباسُ التَّقْوى، وَدِرْعُ الْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ[٥] الْوَثِيقَةُ، فَمَن تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ[٦] أَلْبَسَهُ اللّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمِلَهُ الْبَلاءُ، وَدُيِّثَ[٧] بِالصِّغارِ وَالْقَماءَةِ،[٨] وَضُرِبَ عَلى قَلْبِهِ بِالإِسْهابِ،[٩] وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ[١٠] بِتَضْيِيعِ الْجِهادِ، وَسِيمَ الْخَسْفَ[١١] وَمُنِعَ النَّصَفَ.[١٢]

استنهاض الناس

أَلا وَإِنّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلى قِتالِ هؤُلاءِ الْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهاراً وَسِرّاً وَإِعْلاناً، وَقُلْتُ لَكُمْ:

---

١ . الغرر: ٤٦:٥.

٢ . وهو رابع وظيفة من وظائف المدير، والمقصود بالاشراف هو الطمأنينة على سير العمل وفق الأهداف المطلوبة، ويتم الإشراف في المنظمة بعد تعيين المعايير والثوابت ومقايسة عمل افراد المنظمة بهذه المعايير لمعرفة نقاط العجز ثمّ محاولة إصلاح الخلل. وقد ورد لفظ تفقد فيما بعد بمعنى الاشراف.

٣ . ويقول الامام عليه السلام لواليه مالك الأشتر وهو احد مصاديق المدير الاعلى، الرسائل: ٥٣، وقد ورد.

٤ . انظر كتاب نظام الادارة في نهج البلاغة لسيد محسن الموسوي.

٥ . بالظمّ، وقايته، والجُنة كل ما استتر به.

٦ . رغبة عنه: زهداً فيه.

٧ . ديث: مبني للمجهول من ديثه، اي ذلله.

٨ . القماءة: الصغار والذل.

٩ . الاسهاب: ذهاب العقل او كثرة الكلام.

١٠ . ادبل الحق: اي صارت الدولة للحق بدَله.

١١ . سيم الخسف: اي أولى الخسف وكلفه، والخسف الذل والمشقة ايضا.

١٢ . النصف: العدل، ومنع مجهول، اي حرم العدل بان بلا رد عليه من يغلبه على امره فيظلمه.

أُغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللَّهِ ما غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دارِهِمْ[1] إلاَّ ذَلُّوا، فَتَواكَلْتُمْ،[2] وَتَخاذَلْتُمْ حَتّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغاراتُ،[3] وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطانُ. وَهذا أَخُو غامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبارَ[4]، وَقَدْ قَتَلَ حَسّانَ بْنَ حَسّانَ الْبَكْرِيَّ، وَأَزالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسالِحِها[5]. وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعاهَدَةِ[6] فَيَنْتَزِعُ حِجْلَها[7] وَقُلْبَها[8] وَقَلائِدَها وَرِعاثَها[9]، ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إلاّ بِالْاِسْتِرْجاعِ وَالْاِسْتِرْحامِ،[10] ثُمَّ انْصَرَفُوا وافِرِينَ،[11] ما نالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلا[12] أُرِيقَ لَهُم دَمٌ!! فَلَوْ أَنَّ امْرَاءً مُسْلِماً ماتَ مِنْ بَعْدِ هذا أَسَفاً ما كانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً.

الجهاد طريق النصر

وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ اجْتِماعُ هؤلاءِ الْقَوْمِ عَلى باطِلِهِمْ وَتَفَرُّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً[13] حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً[14] يُرْمى: يُغارُ عَلَيْكُمْ وَلا تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلا تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ.

فَإذاأَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إلَيْهِمْ فِي أَيّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هذِهِ حَمارَّةُ الْقَيْظِ[15] أَمْهِلْنا يُسَبِّخْ[16] عَنَّا الْحَرُّ.

---

١ . حال الخوف والذل كثير اما يخبط في الخوف ويكثر من غير اصابة فيه.

٢ . تواكلتم: وكل كلّ منكم الامر الى صاحبه، اي لم يتوله احد منكم، بل أحاله كلّ على الاخر.

٣ . شنت الغارات: غرقت عليكم من كل جنب كما يشن الماء متفرقا دفعة بعد دفعة.

٤ . الانبار: بلدة على شاطى ء الفرات الشرقي، ويقابلها على الجانب الاخر هيت.

٥ . المسالح: جمع مسلحة-بالفتح- وهي الثغر والمرقب حيث يُخشى طروق الأعداء.

٦ . المعاهدة: الذمية.

٧ . الحِجل- بالكسر وبالفتح وبكسرين-: الخلخال.

٨ . القُلب: بضمتين: جمع قُلب- بالضم فسكون-: السوار المصمت الذي لا جوف له.

٩ . رعثها- بضم الراء والعين- جمع رعاث، ورعات جمع رعثة، وهو ضرب من الخرز الجلد.

١٠ . الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء مع القول: انّا للّه وانّا اليه راجعون، والاسترحام: ان تناشده الرحمة.

١١ . وافرين: تأمين على كثرتهم لم ينقص عددهم.

١٢ . الكلم- بالفتح-: الجرح.

١٣ . ترحا: اي همّاً وحزناً.

١٤ . غرضاً: ما ينصب لرمي بالسهام ونحوها، فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون.

١٥ . حمارة القيظ: بتشديد الراء، شدة الحرّ.

١٦ . التسبيخ: التخفيف والتسكين.

وَإذا أمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إلَيْهِمْ فِي الشّتاءِ قُلْتُمْ هذِهِ صَبارَّةٌ[1] القُرَّ أمْهِلْنا يَنْسَلِخْ عَنَّا البَرْدُ، كُلُّ هذا فِراراً مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ.
فَإذا كُنْتُمْ مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ تَفِرُّونَ، فَأنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أفَرُّ.

التقاعس طريق الفشل

يا أشْباهَ الرِّجالِ وَلا رِجالَ، حُلُومُ الأطْفالِ، وَعُقُولُ رَبّاتِ الحِجالِ،[2] لَوَدِدْتُ أنِّي لَمْ أرَكُمْ وَلَمْ أعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً. وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدَماً وَأعْقَبَتْ سَدَماً،[3] قاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلأتُمْ قَلْبِي قَيْحاً،[4] وَشَحَنْتُمْ[5] صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ[6] التَّهْمامِ[7] أنْفاساً،[8] وَأفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأيِي بِالعِصْيانِ وَالخِذْلانِ حَتّى حَتّى قالَتْ قُرَيْشٌ:
إنَّ ابْنَ أبِي طالِبٍ رَجُلٌ شُجاعٌ وَلَكِنْ لا عِلْمَ لَهُ بِالحَرْبِ!!
لِلّهِ أبُوهُمْ: وَهَلْ أحَدٌ مِنْهُمْ أشَدُّ لَها مِراساً،[9] وَأقْدَمُ فِيها مَقاماً مِنِّي!؟
لَقَدْ نَهَضْتُ فِيها وَما بَلَغْتُ العِشْرِينَ، وَها أنَا ذا قَدْ ذَرَّفْتُ[10] عَلَى السِّتِّينَ، وَلَكِنَّ لا رَأيَ لِمَنْ لا يُطاعُ.[11]

السياسة ونظام الحكم

السياسة

إذا كان عالمنا اليوم قد طحنته السياسات الدولية والشرفية والغربية وخدشت وجهه الحروب والصراعات والإنقلابات الدموية، فإنه لامنجاله إلّا في البحث عن؟؟ في الاخلاق ليُمزج به مثقالاً في السياسة حتى تستقيم الحياة.

---

١ . صبارة: شدة برد الشتاء، والقر، البرد.

٢ . الحجال: جمع حجلة وهي القبة، وموضع يزين الحمال: النساء.

٣ . سدماً: الهمّ مع أسف أو غيظ.

٤ . قيحاً: مافي القرحة من الصديد.

٥ . شحنتم صدري: ملأتموه.

٦ . نغب: جمع نغبة كجرعة وجُرَع، لفظا ومعنى.

٧ . التهمام: الهم، وكلّ تفعال فهو بالفتح الّا التبيان والتلقاء فهما بالكسر.

٨ . أنفاساً: اي جرعة بعد جرعة، والمراد أنّ أنفاسه أمست هما يتجرعه.

٩ . مراساً: مصدر مارسه ممارسة ومراساً، اي ألجه وزاوله وعاناه.

١٠ . ذرّفت على الستين: زدت عليها وروى المبرّد نيّفت وهو بمعناه.

١١ . الخطبة: ٢٧ معاني الاخبار: ص ٣٠٩-مروج الذهب: ٢:٤٠٣ للمسعودي- الكافي: ٥:٤- التهذيب: ٦:١٢٣، للشيخ الطوسي.

فبدون هذه المعادلة لا تعود المجتمعات البشرية إلى رشدها وليس هذا ضربٌ في الخيال.
فقد كان قبل خمسة عشر قرناً في الامان هناك إنسانٌ يخرق طفاً في الاخلاق بمثقال في السياسة.
وكان لهذا الإنسان فرحته معايشة كل الأدوار التي في الممكن أن يحرَّ بها أي سياسيّ. وكان لهذا الإنسان فرصة معايشة كل الادوار التي تخطر في بال الرجل السياسي كان عضواً فاعلاً في حركة جهادية كان يقودها رسول الله صلى الله عليه و آله. وكان قائداً لحركة وسيعة قاعدتها سلمان والمقداد وعمار وابن التيهان وذو الشهادتين. وكان يقود تيار المعارضة الإيجابية في فقرة الخليفة عثمان، وكان على رأس دولة.. وعلى رأس قوة عسكرية وخلت حروباً طاحنة من الانحراف. وما هذا الانسان سوى أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي نحاول أن نستجلي منه الجزء النابض من حياة رجل تصدى لكل عمل سياسي كان مطلوباً من سواء كان خارج الحكم أو داخله.
فقد برهن أميرالمؤمنين (عليه السلام) بكلماته وسيرته أنه سياسي في الطراز الرفيع ليس بقية الساسة المعوجين، فسياسته هي الدين هي الخلق الرضع وليس سياسة المصلحة الآنية حيث الأكثرية يفهمون السياسة هكذا. وقد نالطرفى علي عندما تجرأ وأو قالوا أن علياً ليس سياسي وقديماً قالته قريش أن ابن أبي طالب رجلٌ شجاع ولكن لا عِلم له بالحرب ومقصود الحرب هنا السياسة. وقديبه ولهم في بعض مواقفه إن ليس بسياسي محنك والسبب أنه لا يعيش المواقف بموازين اللحظة، بل كان يقيسها بموازين الماضي والحاضر والمستقبل كان يعيشها بموازين الدارين الدنيا والآخرة.

المارقون

والمروق هو الخروج فيُقال مرق عن الدين أي خرج عن الدين، وهم عصابة في المسلمين. وقد ذكرهم أميرالمؤمنين عدة مرات وفي مناسبات مختلفة فلما نهضتُ بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى[1] أي خرجت على البديعة الصحيحة.

وقد حاججهم أميرالمؤمنين بالحوار والمناقشة قبل أن يعلى الحرب الدفاعية عليهم يقول في هذا المضمار أنا حجيج المارقين وخصيم الناكثين المُرتابين،[2] وذكر عبارة حاججهم لانهم كانوا في أصحابه وقد ألتبس عليهم الحق فأعطاهم فرصة كبيرة ليعودوا عن طريق الغي ويعلنوا خطأهم، ومنع أصحابه في حمل السلاح بوجههم قبل أن يبدوأ هم بالقتال.
وأخذ خطرهم يستشري عندما أخذوا في التبشير بأفكارهم المضللة عندها قرر الامام أن يتصدى لهم، وأول عمل قام به هو المحاججة كما ذكرنا يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام) في استراتيجية المارقين (فإن أبيتُم أن تزْعمُوا إلّا أنّي أخطأتُ وضَللتُ فَلِمَ تُضلّون عامة أمه محمد صلى الله عليه و آله بضلالي، وتأخذونهم بخطائي، وتفكرونهم بذنوبي؟
سيوفكم على عواتقكم تضعُونها مواضِع البُرءِ والسُّقم، وتخلطُونَ مَنْ أذنبَ بمِنَ لم يُذنِبْ)[3].

فعليٌّ (عليه السلام) أول حاكم يتكلم مع المعارضة بهذا الشكل ويجاججهم بتلك الحجج القوية لعلهم يتركوا غيّهم ويبتعدوا عن مواقفهم التي فيها نهايتهم وشقائهم في الدُنيا والآخرة.
ففي بحث المارقين وتعامل أميرالمؤمنين (عليه السلام) درسٌ وعبر لجميع الحكومات كيف يجب أن يكونوا مع مخالفيهم وكيف يتعاملوا معهم معاملة الحسنى ولا يستخدموا القوة إلّا في المرحلة النهائية عندما تتوقف كل المحاولات فكان لايمنعهم مساجد المسلمين ويعطيهم الفيء ويسمع

---

١ . خ: ٣.

٢ . خ: ٧٥.

٣ . خ: ١٢٣.

لمتكلمهم وخطيبهم أن يقول كلمته ويتفوه بما يريد، لكن عندما مملوا السلاح بوجه الشريعة وقاتلوا امامهم كان حقاً على المسلمين أن يتصدوا لهم وأن يقاتلوهم حتى يذعنوا للحق.

الناكثون

أولئك الذين بايعوا علياً خليفة على المسلمين ثم نكثوا بعيتهم له، وأول مَن سماهم بالناكثين هو أميرالمؤمنين (عليه السلام)، فقد ذكرهم: فلما نهضتُ بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى.[1]

وأول الناكثين هما طلحة والزبير اللذان قال فيهما أميرالمؤمنين (عليه السلام) اللّهم إنهُما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي.[2]

ولهؤلاء الناكثين تاريخ وحالات وصفات ذكرها أميرالمؤمنين (عليه السلام) في كلماته ليبتعد الناس عن تلك الرذائل وتلك الاخلاق الساقطة.

يصفهم أميرالمؤمنين: واللّه ما أنكروا عليَّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً وإنهم ليطلبُونَ حقاً هُم تركَوهُ، ودماً هم سَفَكُوهُ فإن كُنْتُ شريكَهُمْ فيه، فإنَّ لَهُمْ نصيبهُمْ فيه، وإن كانُوا ولوه دُوني فما الطّلبةُ إلّا قبلَهُم.[3]

في كلمات الإمام (عليه السلام) صورة واضحة عن هذه الجماعة التي ربما تسود في كل زمان ومكان.

يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام) عن جذور هذه الجماعة فالعامل الأصلي في انبثاقها هو الجهل فيقول: رُبَّ عالِم قد قتله جَهْلُه وعِلمُهُ مَعَهُ لا ينفعه[4] وقد قالها في طلحة والزبير فهما كانا عالمين بأنّ أميرالمؤمنين على الحق وكانا على يقين بأنهما على الباطل ومع ذلك تقدما لحربه طمعاً في الدُنيا الذي يعمي ويصم فيصبح العالم والجاهل على جد سواء. فما قائدة علم لا يعمل الانسان به

يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام) في وصفه لرغبة طلحة والزبير في الدنيا: كل واحدٍ منهما يَرْجُ الأقر له، ويعطفه عليه دون صاحبه، لا يَحُنّان الى اللّه بحبلٍ ولا يَمُدّان إليه بسبب.[5] وقد كان الامام بالمرصاد لهؤلاء الناكثين الذين أردوا تحريف مسيرة الإسلام وقف الامام ليدافع عن القيم الاسلامية وليس ليدافع عن نفسه يقول في ذلك: واللّه لا أكونُ كالضَبُع تنامُ على طُولِ اللّدم حتى يَصلَ إليها طالِبُها ويختلها راصِدها ولكني أضربُ بالمُقبل إلى الحق المُدبر عنه.[6]

فحفاظاً على حياة الاسلام، وحفاظاً على قيم المسلمين وقف الامام يحاربهم وينازلهم حتى طهّر الجسد الاسلامي منهم.

---

١ . خ: ١٣.

٢ . خ: ١٣٧.

٣ . خ: ١٣٧.

٤ . الكلمات القصار ١٠٧.

٥ . الخطبة ١٤٨.

٦ . الخطبة ٦.

القاسطون

وهم أصحاب معاوية الذين حاربوا علياً في صفين والذي ذكرهم أميرالمؤمنين (عليه السلام) في الشقشقية: فلما نهضتُ بالامر نكثت طائفة ومرت أُخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعُوا اللّه سبحانه يقول 'تلك الدار الأخيرة نجعلها للذين لا يُريدون علواً في الأض ولا فسادا والعاقبة للمتقين'.[1] وهي مأخوذة من الفعل قَسَطَ قسْطاً وقسوطاً بمعنى جارَ وحادَ عن الحق فهو قاسِط وجمعهُ قسّاط وقاسِطون. ولانهم أرادوا القضاء على ا لقيادة الحقة المتمثلة بأميرالمؤمنين (عليه السلام) فقد وقف أميرالمؤمنين يدافع عن الشرعية الاسلامية المتمثلة في ذلك الزمان به، فقد حاول معاوية أن يصادر هذه الشرعية ويعطي لنفسه الحق في التلاعب في أمور المسلمين متصدى له أميرالمؤمنين (عليه السلام)، فقد ورد في خطبته ١٩٢ التي تسمى بالصاعقة: وأما القاسطون فقد جاهدت. لانهم كانوا بغاة ومن أبواب الجهاد مواجهة البغاة والردّ عليهم. وكان على رأس القاسطين معاوية بن أبي سفيان الذي قال فيه رسول اللّه صلى الله عليه و آله: إذا رأيتم معاوية على منبري فأقتلوه فكيف وقد أعتلى معاوية حكم الاسلام وأراد ان يسمحي نفسه بأميرالمؤمنين، فما هو موقف أميرالمؤمنين (عليه السلام) أيسكت على تجاوزاته أيمضي في التصدي له.

لقد خيّره بين الحرب والبيعة فأضار الحرب يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام) 'ألا وإنّ معاوية قادلمَةً في الغواةِ وعمس عليهم الخَبَرَ حتى جَعَلُوا نحُورَه أغراضَ المنية[2] ومعنى كلام أميرالمؤمنين أن معاوية هو الذي ابتدأ بالحرب فهو الذي جمع الغواة الذين أغواهم وأبعدهم عن دين اللّه بتضليلهم وأظهر إليهم انه غير عارفٍ بالحق فجهلوا الحق وأهله فكان نتيجة ذلك هو اقدامهم لحرب إمامهم.

لقد طلبوا الحرب وعسكروا العساكر لكن كانت النتيجة الخسران المبين خسرانٌ في الدُنيا والآخرة. والقاسطون موجودون في كل زمان ومكان فلكي نعرفهم ونستدلّ بأشخاصهم علينا أن ندقق في كلمات أميرالمؤمنين التي ورد فيها وصفاً كاملاً لهؤلاء البغاة.

نصيحة القاسطين و إرشادهم إلى الحق

"إلى مُعاوِيَةَ": فَاتَّقِ اللّهَ فِيما لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إلى مَعْرِفَةِ مالا تُعْذَرُ بِجَهالَتِهِ، فَإنَّ لِلطّاعَةِ أعْلاماً و اضِحَةً، وَسُبُلاً نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً[3] نَهْجَةً،[4] وَغايَةً مُطْلَبَةً[5] يَرِدُهَا الْأكْياسُ[6]، وَيُخالِفُهَا الْأنكاسُ[7]، مَنْ نَكَبَ[8] عَنْها جارَ[1] عَنِ الْحَقِّ، وَخَبَطَ[2] فِي التِّيه،[3] وَغَيَّرَ اللّهُ نِعْمَتَهُ، وَأحَلَّ بِهِ

---

١ . خ: ٣.

٢ . خ: ٥١.

٣ . المحجة: الطريق المستقيم.

٤ . النهجة: الواضحة.

٥ . مطلبة- بالتشديد-: مساعفة لطالبها بما يطلبه اي قضاء حاجته.

٦ . الأكياس: العقلاء، جمع كيّس كسيّد.

٧ . الأنكاس- جمع نكس بكسر النون-: الدني ء الخسيس.

٨ . نكب: عدل.

بِهِ نِقْمَتَهُ، فَنَفْسَكَ نَفْسكَ، فَقَدْ بَيَّنَ اللّهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَناهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلى غايَةِ خُسْرٍ،[٤] وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ[٥] شَرًّا، وَأَقْحَمَتْكَ[٦] غَيًّا،[٧] وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهالِكَ، وَأَوْعَرَتْ[٨] عَلَيْكَ الْمَسالِكَ.

...فَاحْذَرْ يَوْماً يَغْتَبِطُ[٩] فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ[١٠] عاقِبَةَ عَمَلِهِ، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ[١١] الشَّيْطانَ مِنْ قِيادِهِ فَلَمْ يُجاذِبْهُ.

وَقَدْ دَعَوْتَنا إِلى حُكْمِ الْقُرْانِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنا إِيّاكَ أَجَبْنا، وَلَكِنّا أَجَبْنَا الْقُرْانَ فِي حُكْمِهِ...[١٢]

وَقَدِ ابْتَلانِي بِكَ وَابْتَلاكَ بِي، فَجَعَلَ أَحَدَنا حُجَّةً عَلَى الْاخَرِ، فَعَدَوْتَ[١٣] عَلَى طَلَبِ الدُّنْيا بِتَأْوِيلِ الْقُرْانِ، وَطَلَبْتَنِي بِمالَمْ تَجْنِ يَدِي وَلا لِسانِي، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشّامِ بِي،[١٤] وَأَلَبَّ عالِمُكُمْ جاهِلَكُمْ وَقائِمُكُمْ قاعِدَكُمْ.[١٥]

فَاتَّقِ اللّهَ فِي نَفْسِكَ، وَنازِعِ الشَّيْطانَ قِيادَكَ،[١٦] وَاصْرِفْ إِلَى الْاخِرَةِ وَجْهَكَ، فَهِيَ طَرِيقُنا وَطَرِيقُكَ، وَاحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللّهُ مِنْهُ بِعاجِلِ قارِعَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ،[٢] وَتَقْطَعُ الدّابِرَ.[٣]

---

١ . جار: مال.

٢ . خبط: مشى على غير هداية.

٣ . التيه: الضلال.

٤ . أجريب إلى غاية خسر: أجريت مطيتك مسرعاً الى غاية خسران.

٥ . أولجتك: أدخلتك.

٦ . أقحمتك: رمت بك.

٧ . الغيّ: ضدّ الرّشاد.

٨ . أوعرت: أخشنت وصعبت.

٩ . يغتبط: يفرح ويسرّ.

١٠ . أحمد عاقبة عمله: وجدها حميدة.

١١ . امكن الشيطان من قياده أي: مكنه من زمامه ولم ينازعه.

١٢ . الرسالة: ٤٨- كتاب صفين: ص ٤٩٢- الفتوح: ٣:٣٢٢.

١٣ . عدوت: اي وثبت.

١٤ . ألّب- بفتح الهمزة وتشديد اللّام-: أي حرّض، قالوا: يريد بالعالم ابا هريرة وبالقائم عمرو بن العاص.

١٥ . الرسالة: ٥٥.

١٦ . القياد- بالكسر- الزّمام و نازعه القياد إذا لم يسترسل معه.

... فَدَعْ عَنكَ قُرَيْشاً وَتَرْكا ضَهُمْ[4] فِي الضَّلالِ وَتَجْوالَهُمْ[5] فِي الشِّقاقِ[6] وَجِماحَهُمْ[7] فِي التِّيهِ،[8] فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلى حَرْبِي كَإِجماعِهِمْ عَلى حَرْبِ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلي.[9]

... مالِي وَلِقُرَيْشٍ؟ وَاللّهِ لَقَدْ قاتَلْتُهُمْ كافِرِينَ، وَلَأُقاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ، وَإِنِّي لَصاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَما أَنَا صاحِبُهُمُ الْيَوْمَ! واللّه ما تنقم منا قريش الّا انّ اللّه اختارنا عليهم فادخلناهم في حيزنا.[10]

فَقَدْ انَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْباصِرِ[11] مِنْ عِيانِ الْأُمورِ،[12] فَلَقَدْ سَلَكْتَ مَدارِجَ أَسْلافِكَ بِادِّعائِكَ الْأَباطِيلَ، وَاقْتِحامِكَ[13] غُرُورَ الْمَيْنِ[14] وَالْأَكاذِيبِ، وَبِانتِحالِكَ[15] ما قِدْ عَلا[16] عَنْكَ، وَبُعْدِ ازْدِكَ[17] لِمَا اخْتُزِنَ[18] دونَكَ، فِراراً مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُوداً لِما هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ،[1] مِمّا قَدْ وَعاهُ سَمْعُكَ،

---

١ . القارعة: البلية والمصيبة.

٢ . تمسّ الأصل- اي تصيبه- فتقلعه.

٣ . الدابر: المتأخر من النسل- الرسالة: ٥٥- الطراز: ٢: ٣٩٢ للسيد اليماني.

٤ . التركاض: مبالغة في الركض، واستعاره لسرعة خواطرهم في الضلال.

٥ . التَّجوال: مبالغة في الجول والجولان.

٦ . الشّقاق: الخلاف.

٧ . جماحهم: استعصاؤهم على سابق الحق.

٨ . التّيه: الضلال والبغواية.

٩ . الرسالة: ٣٦- الأغاني: ١٥: ٤٤ لأبي الفرج الاصبهاني.

١٠ . الخطبة: ٣٣- الإرشاد:ص ١٥٤ للشيخ المفيد- الخصائص: ص٧٠.

١١ . اللمح الباصر: الامر الواضح.

١٢ . عيان الأمور: مشاهدتها ومعاينتها.

١٣ . الاقتحام والاقحام: الدخول في الشي ء من غير رويّة.

١٤ . المين: الكذب.

١٥ . انتحالك: ادعاؤك لنفسك.

١٦ . ما قد علا عنك: ما هو أرفع من مقامك.

١٧ . ابتزازك أي سلبك.

١٨ . اختزن- اي مُنع- دون الوصول اليك.

وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ، فَماذا بَعْدَ الْحَقِّ إلاَّ الضَّلالُ، وَبَعْدَ الْبَيانِ إلاَّ اللَّبْسُ،[٢] فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمالَها عَلى لُبْسَتِها،[٣] فَإنَّ الْفِتْنَةَ طالَما أغْدَفَتْ[٤] جَلابِيبَها، وَأغْشَتِ[٥] الْأبْصارَ ظُلْمَتُها... فَمِنَ الْانَ فَتَدارَكْ نَفْسَكَ وَانظُرْ لَها، فَإنَّكَ إنْ فَرَّطْتَ حَتّى يَنْهَدَ[٦] إلَيْكَ عِبادُ اللّهِ أرْتِجَتْ[٧] عَلَيْكَ الْأُمورُ، وَمُنِعْتَ أمْراً هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ.[٨]

لا حجة لمعاوية

إنَّهُ بايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بايَعُوا أبابَكْرٍ وَعُمَرَوَعُثْمانَ عَلى ما بايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُن لِلشّاهِدِ أنْ يَخْتارَ، وَلا لِلْغائِبِ أنْ يَرُدَّ، وَإنَّما الشُّورى لِلْمُهاجِرِينَ وَالأنْصارِ، فَإنِ اجْتَمَعُوا عَلى رَجُلٍ وَسَمَّوهُ إماماً كانَ ذلِكَ لِلّهِ رِضىً، فَإنْ خَرَجَ عَنْ أمْرِ هِمْ خارِجٌ بِطَعْنٍ أوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إلى ما خَرَجَ مِنْهُ، فَإنْ أبى قاتَلُوهُ عَلى اتِّباعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤمِنِينَ، وَوَلاّهُ اللّهُ ما تَوَلّى. وَلَعَمْري- يامُعاوِيَةُ- لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دونَ هَواكَ لَتَجِدَنّي أبْرَأ النّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أنّي كُنتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ إلاّ أنْ تَتَجَنّى،[٩] فَتَجَنَّ مابَدا لَكَ...[١٠].

فَسُبْحانَ اللّهِ!! ما أشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأهْواءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ،[١١] مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقائِقِ، وَاطِّراحِ الْوَثائِقِ، الَّتِي هِيَ لِلّهِ طِلْبَةٌ،[١٢] وَعَلى عِبادِهِ حُجَّةٌ، فَأمّاإكْثارُكَ الْحِجاجَ[١] فِي عُثْمانَ وَقَتَلَتِهِ، فَإنَّكَ إنَّما نَصَرْتَ عُثْمانَ حَيْثُ النَّصْرُلَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كانَ النَّصْرُ لَهُ...[٢]

---

١ . المراد بالذي هو الزم له من لحمه ودمه، البيعة بالخلافة لامير المؤمنين عليه السلام.

٢ . اللبس- بالفتح-: مصدر لبس عليه يلبس كضرب يضرب اي خلطه وفي التنزيل: وللبسنا عليهم ما يلبسون الانعام: ٩.

٣ . اللبسة- بالضم-: الإشكال.

٤ . أغدقت المرأة قناعها: أرسلته على وجهها فسترته، وأغدق الليل: أرخى سدوله- اي أغطيته- من الظلام، والجلابيب: جمع جلباب، وهو الثوب الأعلى يغطي ما تحته، اي طالما أسدلت الفتنة اغطية الباطل فاخفت الحقيقة.

٥ . أغشت الابصار: أضعفتها ومنعتها النفوذ الى المرئيات الحقيقية.

٦ . ينهد: ينهض لحربك.

٧ . ارتجت: أغلقت، وتقول أرتَجَ الباب كرَتجه، اي أغلقه.

٨ . الرسالة: ٦٥.

٩ . تجنى- كتولى-: ادّعى الجناية على من لم يفعلها.

١٠ . الرسالة: ٦.

١١ . الحيرة المتبّعة: اسم مفعول من اتّبعه، والحيرة هنا بمعنى الهوى الذي يتردّد الإنسان في قبوله.

١٢ . طِلبة- بالكسر وبفتح فكسر-: مطلوبة.

... وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئتَ ثائِرا[٣] بِعُثْمانَ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُناكَ إِنْ كُنْتَ طالِباً...[٤]

... فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمانَ حَتّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيانِهِ:[٥]

إِنَّ النّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ فَكُنتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهاجِرِينَ أَكْثِرُ أَسْتِعْتابَهُ،[٦] وَأَقَلُّ عِتابَهُ، وَكانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنَ سَيْرِهِما فِيهِ الْوَجِيفُ،[٧] وَأَرْفَقُ حِدائِهِمَا[٨] الْعَنِيفُ، وَكانَ مِنْ عائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ...[٩]

"يا معاوية": وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمانَ، فَادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ النّاسُ، ثُمَّ حاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيّاهُمْ عَلى كِتابِ اللّهِ...[١٠]

الاحساس بالمسؤولية الالهية لانقاذ الناس ودفع المخالفين

... فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْداثِ حَتّى زاحَ[١١] الْباطِلُ وَزَهَقَ،[١٢] وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ...[١٣].

إِنِّى وَاللّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ واحِداً وَهُمْ طِلاعُ[١٤] الْأَرْضِ كُلِّها ما بالَيْتُ وَلَااسْتَوْحَشْتُ، وَإِنِّى مِنْ ضَلالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِي، وَإِنِّى إِلى لِقاءِاللّهِ

---

١ . الحجاج- بالكسر- الجدال.

٢ . الرسالة: ٣٧.

٣ . ثأر به: طلب بدمه.

٤ . الرسالة: ١٠.

٥ . عيانه: رؤيه.

٦ . استعتابه: استرضاؤه.

٧ . الوجيف: ضرب من سير الخيل والإبل سريع.

٨ . الحداء: زجل الإبل وسوقها.

٩ . الرسالة: ١.

١٠ . الرسالة: ٦٤.

١١ . زاح: ذهب.

١٢ . زهق: خرجت روحه ومات، مجاز عن الزوال التام.

١٣ . تنهنه: أي كفّ.

١٤ . الطّلاع- ككتاب-: مل ء الشي ء.

لمُشْتاقٌ، وَلِحُسْنِ ثَوابِهِ لَمُنْتَظِرٌ راجٍ، وَلَكِنَّنِي اسى[1] أَنْ يَلِيَ[2] أَمْرَ هذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهاؤُها وَفُجّارُها، فَيَتَّخِذُوا مالَ اللّهِ دُوَلاً،[3] وَعِبادَهُ خَوَلاً،[4] وَالصّالِحِينَ حَرْباً،[5] وَالْفاسِقِينَ حِزْباً:

فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرامَ[6] وَجُلِدَ حَدّاً فِي الْإِسْلامِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلامِ الرَّضائِخُ[7]، فَلَوْلا ذلِكَ ما أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ[8] وَتَأْنِيبَكُمْ، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيضَكُمْ، وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذْ إِذْ أَبَيْتُمْ وونيتم[9].

أَلا تَرَوْنَ إِلى أَطْرافِكُمْ[10] قَدِ انْتَقَصَتْ،[11] وَإِلى أَمْصارِكُمْ قَدِ افْتُتِحَتْ، وَإِلى مَما لِكِكُمْ تُزْوى[12]، وَإِلى بِلادِكُمْ تُغْزى؟! انْفِرُوا- رَحِمَكُمُ اللّهُ- إِلى قِتالِ عَدُوِّكُمْ، وَلاتَئِ اقْلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَتُقِرُّوا[13] بِالْخَسْفِ،[14] وَتَبُوءُوا[15] بِالذُّلِّ وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ الْأَخَسَّ، وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرِقُ،[16] وَمَنْ نامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ...[17]

---

١ . آسى: مضارع أسيتُ عليه كرضيتُ- أي: حزنت.

٢ . يلي امر الأمّة: يتولاها ويكون عنها مسؤولاً.

٣ . دُوَلاً- بضم ففتح جمع دُولة بالضم-: أي شيئاً يتداولونه بينهم.

٤ . الخَوَل- محركة-: العبيد.

٥ . حَرباً: أي محاربين.

٦ . شرب الحرام: يريد الخمر.

٧ . الرّضائخ: جمع رضيخة وهي شي ء قليل يعطاه الانسان يصانع به عن شي ء يطلب منه كالأجر، ورضخت له، اعطيت له.

٨ . تأليبكم: تحريضكم وتحويل قلوبكم عنهم.

٩ . ونيتم: اي ضعفتُم وفرتم.

١٠ . أطراف البلاد: جوانبها.

١١ . انتقصت: حصل فيها النقص باستيلاء العدو عليها.

١٢ . تزوى- مبني للمجهول- تقبض، وهي من زواه اذا قبضه عنه.

١٣ . تقروا: تعترفوا.

١٤ . الخسف: اي الضيم.

١٥ . تبوؤوا: اي تعودوا بالذل.

١٦ . الأرق- بفتح فكسر- اي: الساهر.

١٧ . الرسالة: ١٥.

... ألا وَإنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أيْدِيَكُم مِنْ حَبْلِ الطّاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ[1].

حِصْنَ اللّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأحْكامِ الْجاهِلِيَّةِ، وَإنَّ اللّهَ- سُبْحانَهُ- قَدِ امْتَنَّ عَلى جَماعَةِ هذِهِ الْأُمَّةِ فِيما عَقَدَ بَيْنَهُم مِنْ حَبْلِ هذِهِ الْأُلْفَةِ- الَّتِي يَنْتَقِلُون فِي ظِلِّها وَيَأوُونَ إلى كَنَفِها- بِنِعْمَةٍ لايَعْرِفُ أحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَها قِيمَةً، لأنَّها أرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ. وَاعْلَمُوا أنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أعْراباً، وَبَعْدَ الْمُوالاةِ[2] أحْزاباً، مُا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإسْلامِ إلاّ بِاسْمِهِ، وَلاتَعْرِفُونَ مِنَ الْإيمانِ إلاّ رَسْمَهُ.

أَلا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإسْلامِ، وَعَطَّلْتُمْ حُدودَهُ، وَأمَتُّمْ أحْكامَهُ، أَلا وَقَدْ أمِرَنِيَ اللّهُ بِقِتالِ أهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكْثِ[3] وَالْفَسادِ فِي الْأرْضِ فَأمّا النّاكِثُونَ فَقَدْ قاتَلْتُ، وَأمَّا الْقاسِطُونَ[4] فَقَدْ جاهَدْتُ، وَأمَّا الْمارِقَةُ[5]فَقَدْ دَوَّخْتُ...[6][7].

... وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أنْفَ هذَا الأمْرِ وَعَيْنَهُ،[8] وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، فَلَمْ أرَ لِي إلّا الْقِتالَ أوِ الْكُفْرَ إبِما جاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. إنَّهُ قَدْ كانَ عَلَى الْأُمَّةِ والٍ أحْدَثَ أحْداثاً، وَأوْجَدَ[9] لِلنّاسِ مَقالاً فَقالُوا ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا[10].

أمر أصحابه بقتال القاسطين...[11]

ألا وَإنّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إلى قِتالِ هؤلاءِ الْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهاراً وَسِرّاً وَإعْلاناً، وَقُلْتُ لَكُمْ: أُغْزُوهُمْ قَبْلَ أنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللّهِ ما غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دارِهِمْ[12] إلاّ ذَلُّوا، فَتَواكَلْتُمْ[13] وَتَخاذَلْتُمْ حَتّى شُنَّتْ[1] عَلَيْكُمُ

---

١ . ثلمتم: خرقتم.

٢ . الموالاة: المحبّة.

٣ . النكث: نقض العهد.

٤ . القاسطون: الجائرون عن الحق.

٥ . المارقة: الذين مرقوا من الدين، أي خرجوا منه.

٦ . دوّخهم: أضعفهم وأذلهم.

٧ . الخطبة: ١٩٢.

٨ . ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه: مَثَل تقول العرب في الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر.

٩ . اوجد الناس مقالاً: جعلهم واجدين له.

١٠ . الخطبة: ٤٣.

١١ . وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا.

١٢ . عقر الدار- بالشم- وسطها واصلها.

١٣ . تواكلتم: وكل كلّ منكم الامر الى صاحبه، اي لم يتوله احد منكم، بل أحاله كلّ على الاخر.

الْغاراتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطانُ. وَهذا أَخُو غامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبارَ،[٢] وَقَدْ قَتَلَ حَسّانَ بْنَ حَسّانَ الْبَكْرِيَّ، وَأَزالَ خَيْلَكُمْ عَن مَسالِحِها[٣] وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعاهَدَةِ[٤] فَيَنْتَزِعُ حِجْلَها[٥] وَقُلْبَها[٦] وَقَلائِدَها وَرِعاثَها،[٧] ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلاّ بِالِاسْتِرْجاعِ[٨] وَالِاسْتِرْحامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وافِرِينَ،[٩] ما نالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ[١٠] وَلا أُرِيقَ لَهُ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ امْرَءاً مُسْلِماً ماتَ مِنْ بَعْدِ هذا أَسَفاً ما كانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً.

فَيا عَجَباً عَجَباً!! وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ اجْتِماعُ هؤلاءِ الْقَوْمِ عَلى باطِلِهِمْ وَتَفَرُّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً[١١] حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً[١٢] يُرْمى، يُغارُ عَلَيْكُمْ وَلا تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلا تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ.

فَإِذا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ ه ذِهِ حَمارَّةُ الْقَيْظِ[١٣] أَمْهِلْنا يُسَبِّخْ[١٤] عَنَّا الْحَرُّ، وَإِذا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتاءِ قُلْتُمْ هذِهِ صَبارَّةُ الْقُرِّ[١٥] أَمْهِلْنا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ.

كُلُّ هذا فِراراً مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ "فَإِذا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ" فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ.[١٦]

---

١ . شنت الغارات: مزقت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقا دفعة بعد دفعة.

٢ . الانبار: بلدة على شاطى ء الفرات الشرقي، ويقابلها على الجانب الاخر هيت.

٣ . المسالح: جمع مسلحة- بالفتح- وهي الثغر والمرقب حيث يُخشى طروق الأعداء.

٤ . المعاهدة: الذمية.

٥ . الحِجل- بالكسر وبالفتح وبكسرين-: الخلخال.

٦ . القُلب: بضمتين: جمع قُلب- بالضم فسكون-: السوار المصمت الذي لا جوف له.

٧ . رعثها- بضم الراء والعين- جمع رعاث، ورعاث جمع رعثة، وهو ضرب من الخرز الجلد.

٨ . الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء مع القول: انّا للّه وانّا اليه راجعون، والاسترحام: ان تناشده الرحمة.

٩ . وافرين: تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم.

١٠ . الكلم- بالفتح-: الجرح.

١١ . ترحاً- بالتحريك-: أي همّاً وحزناً.

١٢ . الغرض: ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها، فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون.

١٣ . حمارة القيظ: بتشديد الراء، وربما خففت في ضورة الشعر: شدّة الحرّ.

١٤ . التسبيخ- بالخاء المعجمة-: التخفيف والتسكين.

١٥ . صبارة الشتاء- بتشديد الراء: شدة برده، والقرّ- بالضمّ- البرد، وقيل: هو برد الشتاء خاصّة.

١٦ . الخطبة: ٢٧.

لا تُقاتِلُوهُمْ[1] حَتّى يَبْدَؤُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ- بِحَمْدِاللّهِ- عَلى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إيّاهُمْ حَتّى يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإذا كانَتِ الْهَزيمَةُ بِإذْنِ اللّهِ فَلا تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلا تُصيبُوا مُعْوِراً،[2] وَلاتُجْهِزُوا[3] عَلى جَريحٍ، وَلا تَهيجُوا النِّساءَ بِأذىً، وَإنْ شَتَمْنَ أعْراضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَراءَكُمْ، فَإنَّهُنَّ ضَعيفاتُ الْقُوى وَالْأنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إنْ كُنّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإنَّهُنَّ لَمُشْرِكاتٌ، وَإنْ كانَ الرَّجُلُ لَيَتَناوَلُ الْمَرْأةَ فِي الْجاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ[4] أوِ الْهِراوَةِ[5] فَيُعَيَّرُ بِها وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.[6] وَكانَ[7] بَدْءُ أمْرِنا أنّا الْتَقَيْنا وَالْقَوْمُ مِنْ مِنْ أهْلِ الشّامِ، وَالظّاهِرُ أنَّ رَبَّنا[8] واحِدٌ، وَنَبِيَّنا واحِدٌ، وَدَعْوَتَنا فِي الْاِسْلامِ واحِدَةٌ، وَلا نَسْتَزيدُهُمْ[9] فِي الْإيمانِ بِاللّهِ وَالتَّصْديقِ لِرَسُولِهِ وَلا يَسْتَزيدُونَنا وَالْأمْرُ واحِدٌ إلاّ مَااخْتَلَفْنا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَراءٌ! فَقُلْنا: تَعالَوْا نُداوِي مالا يُدْرَكُ الْيَوْمَ بِإطْفاءِ النّائِرَةِ وَتَسْكِينِ[10] الْعامَّةِ، حَتّى يَشْتَدَّ الْأمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ، فَنَقْوى عَلى وَضْعِ الْحَقِّ فِي مَواضِعِهِ، فَقالُوا: بَلْ نُداوِيه بِالْمُكابَرَةِ![11] فَأبَوْا حَتّى جَنَحَتِ[12] الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ،[13] وَوَقَدَتْ[14] نِيرانُها وَحَمِشَتْ[15].

---

١ . قال لعسكره قبل لقاء العدو بصفين.

٢ . المعور- كمجرم-: الذي أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها: وأصله أعوَرَ أبدى عورته.

٣ . أجهز على الجريح: تمم اسباب موته.

٤ . الفهر- بالكسر-: الحجر على مقدار ما يدق به الجوز او يملأ الكف.

٥ . الهراوة- بالكسر- العصا أو شبه المقمعة من الخشب.

٦ . الرسالة: ١٤.

٧ . كتبه الى اهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين اهل صفين.

٨ . والظاهر أنَ نبيا واحد: الواو للحال، أي كان التقاوُنا في حال يظهر فيها أننا متحدون في العقيدة لا اختلاف بيننا إلّا في دم عثمان.

٩ . لا نستزيدهم في الايمان: اي لا نطلب منهم زيادة في الايمان لأنّهم كانوا مؤمنين.

١٠ . النائرة- بالنون الموحّدة- بمعنى الثائرة بالتاء المثلثة، واصلها من ثارت الفتنة اذا اشتعلت وهاجت.

١١ . المكابرة: المعاندة.

١٢ . جنحت الحرب: مالت وأقبلت، ومنه قد جنح الليل إذا أقبل.

١٣ . ركدت: استقرت وثَبَتَت.

١٤ . وقدت- كوَعَدَت- أي: اتقدت والتهبت.

١٥ . حمشت: استقرّت وشبّت.

فَلَمّا ضَرَّسَتْنا[1] وَإيّاهُمْ، وَوَضَعَتْ مَخالِبَها فِينا وَفِيهِمْ، أجابُوا عِنْدَ ذلِكَ إلى الَّذِي دَعَوْناهُمْ إلَيْهِ، فَأجَبْناهُمْ إلى مادَعَوْا، وَسارَعْناهُمْ[2] إلى ما طَلَبُوا، حَتّى اسْتَبانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَةُ، فَمَنْ تَمَّ عَلى ذ لِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أنقَذَهُ اللّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمادى فَهُوَ الرّاكِسُ[3] الَّذِي رانَ[4] اللّهُ عَلى قَلْبِهِ، وَصارَتْ دائِرَةُ السَّوْءِ عَلى رَأسِهِ.[5]

الناكثون

الى طلحة والزبير

أمّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُما وَإن كَتَمْتُما أنّى لَمْ أُرِدِ النّاسَ حَتّى أرادُونِي، وَلَمْ أُبايِعْهُمْ حَتّى بايَعُونِي، وَإنَّكُما مِمَّنْ أرادَنِي وَبايَعَنِي، وَإنَّ الْعامَّةَ لَمْ تُبايِعْنِي لِسُلْطانٍ غاصِبٍ، وَّلا لِعَرَضٍ[6] حاضِرٍ، فَإن كُنْتُما بايَعْتُمانِي طآئِعَيْنِ فَارْجِعا وَتُوبا إلى اللّهِ مِن قَرِيبٍ وَإن كُنْتُما بايَعْتُمانِي كارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُما لِي عَلَيْكُما السَّبِيلَ[7] بِإظْهارِ كُمَا الطّاعَةَ وَإسْرارِ كُمَا الْمَعْصِيَةَ، وَلَعَمْرِي ما كُنْتُما بِأحَقِّ الْمُهاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمانِ، وَإنَّ دَفْعَكُما هذا الْأمْرَ قَبْلَ أن تَدْخُلا فِيهِ كانَ أوْسَعَ عَلَيْكُما مِنْ خُرُوجِكُما مِنْهُ بَعْدَ إقْرارِ كُمابِهِ. وَقَدْ زَعَمْتُما أنِّى قَتَلْتُ عُثْمانَ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُما مَن تَخَلَّفَ عَنِّى وَعَنكُما مِنْ أهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِي ءٍ بِقَدْرِ مَاحْتَمَلَ، فَارْجِعا أيُّهَا الشَّيْخانِ عَن رَّأيِكُما، فَإنَّ الْانَ أعْظَمُ أمْرِ كُما الْعارُمِن قَبْلِ أن يَّجْتَمِعَ الْعارُ وَالنّارُ...[8]

... لَقَدْ نَقَمْتُما[9] يَسِيرًا، وَّأرْجَأْتُما[10] كَثِيراً، ألا تُخْبِرانِي أيُّ شَيْ ءٍ كانَ لَكُما فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُما عَنْهُ؟[11] أمْ أيُّ قِسْمٍ اسْتَأثَرْتُ عَلَيْكُما بِهِ؟ أمْ أيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إلَيَّ أحَدٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أمْ جَهِلْتُهُ أمْ

---

١ . ضرّستنا: عضتنا أضراسها.

٢ . سارعناهم: سابقناهم.

٣ . الراكس: الناكث الذي قلب عهده ونكثه.

٤ . ران على قلبه: غطى.

٥ . الرسالة: ٥٨.

٦ . العرض- بالتحريك- هو المتاع وما سوى النقدين من المال.

٧ . جعلتما لي عليكما السبيل: أي الحجة.

٨ . الرسالة: ٥٤، المقامات في مناقب اميرالمؤمنين عليه السلام لأبي جعفر الاسكافي- الامامة والسياسة: ١: ٧٠ لابن قتيبة التاريخ: ص ١٧٣ لابن اعثم الكوفي- الروضة من الكافي: ص ١٩.

٩ . نقمتما: أي غضبتما.

١٠ . أرجأتما: أي أخرتما مما يرضيكما كثيراً لم تنظر اليه.

١١ . كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما، والاستعانة في الامور بهما.

أخْطأتُ بابَهُ؟ وَاللّهِ ما كانَتْ لِي فِي الْخِلافَة رَغْبَةٌ، وَلا فَي الْولايَة إرْبَةٌ،[1] وَلكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إلَيْها، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْها.
فَلَمّا أفْضَتْ إلَيَّ نَظَرْتُ إلى كِتابِ اللّهِ وَما وَضَعَ لَنا وَأمَرَنا بِالْحُكمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَااسْتَسَنَّ النَّبِيُّ- صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهَ- فَاقْتَدَيْتُهُ، فَلَمْ أحْتَجْ فِي ذلِكَ إلى رَأيِكُما،وَلا رَأي غَيْرِكُما، وَلا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأسْتَشِيرَ كُما وَإخْوانِي الْمُسْلِمِينَ وَلَوْ كانَ ذلِكَ لَمْ أرْغَبْ عَنكُما وَلاعَنْ غَيْرِكُما. وَأمّا ما ذَكَرْتُما مِنْ أمْرِ الْأُسْوَةِ[2] فإنَّ ذلِكَ أمْرٌ لَمْ أحْكُمْ أنَا فِيه برَأيِي، وَلا وَلِيتُهُ هَوىً مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أنَا وَأنْتُما ما جاءَ بِه رَسولُ اللّهِ صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَلَمْ أحْتَجْ إلَيْكُما فِيما قَدْ فَرَغَ اللّهُ مِنْ قَسْمِهِ، وَأمْضى فِيهِ حُكْمَهُ فَلَيْسَ لَكُما- وَاللّهِ- عِنْدِي وَلا لِغَيْرِكُما فِي هذا عُتْبى[3].

أخَذَ اللّهُ بِقُلُوبِنا وَقُلُوبِكُمْ إلى الْحَقِّ، وَألْهَمَنا وَإيّاكُمُ الصَّبْرَ.
ثُمَّ قالَ (عليه السلام): رَحِمَ اللّهُ امْرَأً رَأى حَقّاً فَأعانَ عَلَيْهِ، أوْ رَأى جَوْراً فَرَدَّهُ وَكانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلى صاحِبِهِ[4].

وَقَدْ قالَ لَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ: نُبايِعُكَ عَلى أنّا شُرَكاؤُكَ فِي هذا الْأمْرِ فَقالَ:
لا وَلكِنَّكُما شَرِيكانِ فِي الْقُوَّةِ وَالِاسْتِعانَةِ، وَعَوْنانِ عَلَى الْعَجْزِ وَالْأوَدِ[5].[6]

كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما يَرْجُوا الْأمْرَلَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صاحِبِهِ: لايَمُنّانِ[7] إلى اللّهِ بِحَبْلٍ، وَلايَمُدّانِ إلَيْهِ بِسَبَبٍ[8]، كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما حامِلُ ضَبٍّ[9] لِصاحِبِهِ، وَعَمّا قَلِيلٍ يَكْشِفُ قِناعَهُ بِهِ وَاللّهِ لَئِنْ أصابُوا الَّذِي الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنتَزِ عَنَّ هذا نَفْسَ هذا، وَلَيَأتِيَنَّ هذا على هذا.
قَدْ قامَتِ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ فَأيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ؟[10]

قَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ، وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ ناكِثٍ شُبْهَةٌ. وَاللّهِ اكوُنُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ،[11] يَسْمَعُ النّاعِيَ، وَيَحْضُرُ الْباكِيَ "ثُمَّ لايَعْتَبِرُ"[1].

---

١ . الإربة- بكسر الهمزة- الغرض والطلبة.

٢ . الأسوة: ها هنا التسوية بين المسلمين في قسمة الأموال، وكان ذلك قد اغضب القوم.

٣ . العتبى: الرجوع عن الإساءة.

٤ . الخطبة: ٢٠٥- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢:١٧٣.

٥ . الأود: بلوغ الأمر من الانسان مجهوده شدّته وصعوبة احماله.

٦ . قصار الحكم: ٢٠٢.

٧ . لا يمتان: لا يمدان.

٨ . السبب: الحبل.

٩ . الضبّ: بالفتح وبكسر: الحقد، والعرب تضرب المثل بالضبّ في العقوق.

١٠ . المحتسبون: الذين يجاهدون حسبه للّه.

١١ . اللدم: الضرب على الصدر والوجه عند النياحة.

... وَاللّهِ ما أنْكَرُوا عَلَيَّ مُنكَراً، وَلاجَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصفاً[٢] وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَإِن كُنتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَإِنْ كانُوْا وُلُوهُ دُونِي فَمَا الطِّلِبَةُ[٣] إلّا قِبَلَهُمْ، وَإِنَّ أوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلى أنفُسِهِمْ وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي: مالَبَّسْتُ وَلالُبِّسَ عَلَيَّ، وَإِنَّها لَلْفِئَةُ الْباغِيَةُ فِيهَا الْحَماءُ وَالْحُمَةُ[٤] وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ[٥] وَإِنَّ الْأَمْرَ لواضِحٌ وَقَدْ زاحَ[٦] الْباطِلُ عَنْ نِصابِهِ، وَانقَطَعَ لِسانُهُ عَنْ شَغَبِهِ[٧] وَايْمُ اللّهِ لَأُفْرِطَنَّ[٨] لَهُمْ حَوْضاً أنَا ماتِحُهُ،[٩] لايَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ، وَلايَعُبُّونَ[١٠] بَعْدَهُ فِي حِسّي...[١١].

... اللّهُمَّ إنَّهُما قَطَعانِي وَظَلِمانِي، وَنَكَثا بَيْعَتِي، وَأَلَّبا[١٢] النّاسَ عَلَيَّ، فَاحْلُلْ ما عَقَدا، وَلا تُحْكِمْ لَهُما ما أبْرَما، وَأَرِهِمَا الْمَساءَةَ فِيما أمَّلا وَعَمِلا. وَلَقَدِ اسْتَتَبْتُهُما[١٣] قَبْلَ الْقِتالِ، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِما أمامَ الْوِقاعِ،[١٤] فَغَمِطا النِّعْمَةَ،[١٥] وَرَدَّا الْعافِيَةَ.[١٦]

'لابن عباس لما أرسله (عليه السلام) الى الزبير يستفيأه الى طاعته قبل حرب الجمل':

---

١ . الخطبة: ١٤٨- الارشاد: ص ١٤٢، للشيخ المفيد.

٢ . النّصف- بكسر النون-: الانصاف.

٣ . الطلبة- بفتح الطاء وكسر اللام-: ما يطلب به من الثأر.

٤ . المراد بالحماء هنا مطلق القريب والنسيب، وهو كناية عن الزبير، فانه من قرابة النبي صلى الله عليه و آله ابن عمّة، والحُمَة بضم ففتح-: اصلها الحيّة أو أبرة اللاسعة من الهوام.

٥ . أغدفت المرأة قناعها: أرسلته على وجهها، وأغدف الليل: أرخى سدوله، يعني: أن شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق.

٦ . زاح يزيح زيحاً وزيحاناً: بَعُد وذهب، كانزاح، والنصاب: الأصل، أي: قد انقلع الباطل عن مغرسه.

٧ . الشغب- بالفتح-:تهييج الشرّ.

٨ . أفرط الحوض: ملأه حتى فاض، والمراد حوض المنية.

٩ . ماتحه: أي نازع مانه لأسقيهم.

١٠ . عبّ: شرب بلا تنفس.

١١ . الحسي- بفتح الحاء وتكسر-: سهل من الأرض يستنقع فيه الماء.

١٢ . التألب: الافساد.

١٣ . استتبتهما: من ثاب بالثاء إذا رجع، اي استرجعتهما وطلبت اليهما الرجوع للبيعة.

١٤ . أمام الوقاع:- ككتاب- قبيل المواقعة بالحرب.

١٥ . غمط النعمة: جحدها.

١٦ . الخطبة: ١٣٧ والاستيعاب: ٢:٢١١ لابن عبدالبر.

لا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إن تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عاقِصاً قَرْنَهُ،[1] يَرْكَبُ الصَّعْبَ[2] وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ! وَلَكِن وَلَكِن الْقَ الزُّبَيْر فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً،[3] فَقُل لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِراقِ، فَما عَداهُ[4] مِمّا بَدا؟.[5]

... وَاللَّهِ لا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنامُ عَلى طُولِ اللَّدْمِ،[6] حَتّى يَصِلَ إلَيْها طالِبُها، وَيَخْتِلَها[7] راصِدُها[8] وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إلى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسّامِعِ الْمُطِيعِ العاصِيَ الْمُرِيبَ[9] أَبَداً حتّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي، فَوَاللَّهِ ما زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقّي مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتّى يَوْمِ النّاسِ هذا.[10]

... يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ، وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ،[11] فَلْيَأْتِ عَلَيْها بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وَإِلاّ فَلْيَدْخُلْ فيما خَرَجَ مِنْهُ.[12] أَلا وَإِنَّ الشَّيْطانَ قَدْ دَمَّرَ حِزْبَهُ،[13] وَاسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ،[14] لِيَعُودَ

---

١ . عاقصاً قرنه: من عقص الشعر إذا ضفره وفتله ولواه، كناية عن تغطرسه وكبره.

٢ . يركب الصعب: يستهين به ويزعم أنه ذلول سهل، والصعب:الدابة الجموح.

٣ . العريكة: الطبيعة، والخلق، واصل العَرَك دلك الجسد بالدّباغ وغيره.

٤ . عداه الامر: صرفه، وبدا: ظهر، والمراد: ما الذي صرفك عما كان بدا وظهر منك؟.

٥ . الخطبة: ٣١- من لا يحضره الفقيه: ٣:٣٦٢.

٦ . اللّدم: صوت الحجر أو العصا أو غيرهما، تضرب به الأرض ضرباً غير شديد.

٧ . يختلها: يخدعها.

٨ . راصدها: صائدها الذي يترقبها.

٩ . المريب: الذي يكون في حال الشك والريب.

١٠ . الخطبة: ٦- الأمالي: ١:٥٢ للشيخ الطوسي.

١١ . الوليجة: الدخيلة وما يضمر في القلب ويكتم.

١٢ . الخطبة: ٨- الجمل: ص ١٧٥ للشيخ المفيد- الجمل: للواقدي.

١٣ . دَمّر حزبه: حثهم وحضهم وهو بالتشديد أدل على التكثير، ويروى مخففا ايضاً من باب ضرب ونصر.

١٤ . الجلب- بالتحريك-: ما يجلب من بلد الى بلد، وهو فعل بمعنى مفعول مثل سلب بمعنى مسلوب والمراد هنا بقوله استجلب جلبه جمع جماعته، كقوله دَمّر حزبه.

الْجَوْرُ إلى أوْطانِهِ، وَيَرْجِعَ الْباطِلُ إلى نِصابِهِ،[1] وَاللّهِ ما أنْكَروُا عَلَىَّ مُنْكَراً، وَلا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِفا[2].

في المسؤول في دم عثمان

وَإنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَلَئِن كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَئِن كانُوا وَلُوهُ دونِي فَمَا التَّبِعَةُ إلاّ عِنْدَهُمْ، وَإنَّ أعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلى أنْفُسِهِمْ، يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ،[3] وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ، يا خَيْبَةَ[4].

الدّاعِي! مَنْ دَعا! وَإلامَ أُجِيبَ! وَإنّي لَراضٍ بِحُجَّةِ اللّهِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ.

التهديد بالحرب

فَإنْ أبَوْا أعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفى بِهِ شافِياً مِنَ الْباطِلِ وَناصِراً لِلْحَقِّ. وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثَتُهُمْ إلَيَّ أنْ أبْرُزَ لِلطَّعانِ وَأنْ أصْبِرَ لِلْجِلادِ! هَبِلَتْهُمُ[5] الْهَبُولُ،[6] لَقَدْ كُنْتُ وَما أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَإنّي لَعَلى يَقِينٍ مِنْ رَبّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.[7]... ألا وقد أمرني اللّه بقتال اهل البغي البغي والنكث[8] والفساد في الأرض، فامّا الناكثون فقد قاتلت، وامّا القاسطون[9] فقد جاهدت، وأمّا المارقة[10] فقد دوخت...[11].[12]

---

١ . الجلب- بالتحريك-: ما يجلب من بلد الى بلد، وهو فعل بمعنى مفعول مثل سلب بمعنى مسلوب والمراد هنا بقوله استجلب جلبه جمع جماعته، كقوله نمّر جزبه.

٢ . النصف- بالكسر- المنصف، أي: لم يحكموا رجلاً عادلاً بيني وبينهم.

٣ . أمّاً قد فطمت: أي تركت إرضاع ولدها بعد أن ذهب لبنها، يُشبّه به طلب الأمر بعد فواته.

٤ . يا خيبة الداعي ها هنا كالنداء في قوله تعالى: ياحسرة على العباد سورة يس ٣٠، وقوله ياحسرتنا على ما فرطنا فيها سورة الانعام ٣١، اي ياخيبة احضري فهذا أوانك.

٥ . هبلتهم: ثكلتهم.

٦ . الهبول: بفتح الهاء- المرأة التي لا يبقى لها ولد، وهو دعاء عليهم بالموت.

٧ . الخطبة: ٢٢- الامالي: ١:١٧٢، للشيخ الطوسي.

٨ . النكث: نقض العهد.

٩ . القاسطون: الجائرون عن الحق.

١٠ . المارقة: الذين مرقوا من الدّين أي خرجوا منه.

١١ . دوّخهم: أضعفهم وأذلهم.

١٢ . الخطبة: ١٩٢- الكافي: ٤:١٦٨.

عند خروجه لقتال اهل البصرة

إنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً "صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ" وَلَيْسَ أحَدٌ مِّنَ العَرَبِ يَقْرَأُ كِتاباً، وَلا يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَساقَ النّاسَ حَتّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ،[1] وَبَلَّغَهُمْ مَنْجاتَهُمْ، فَاسْتَقامَتْ قَناتُهُمْ،[2] وَاطْمَأَنَّتْ صَفاتُهُمْ.

فضل علي

أما وَاللّهِ إنْ كُنْتُ لَفِي ساقَتِها،[3] حَتّى تَوَلَّتْ بِحَذافِيرِها،[4] ما عَجَزْتُ وَلا جَبُنْتُ، وَإنَّ مَسِيرِي هذا لِمِثْلِها، فَلَأَنْقُبَنَّ[5] الباطِلَ حَتّى يَخْرُجَ الحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ.

مالي ولقريش! واللّه لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنّهم مفتونين، واني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم، واللّه ما تنقم منّا قريش إلّا أنّ اللّه اختارنا عليهم، فادخلناهم في حيزنا...[6]

في ذكر السائرين الى البصرة لحربه

... فَقَدِمُوا عَلى عُمّالِي وَخُزّانِ مالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ وَعَلى أهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طاعَتِي وَعَلى بَيْعَتِي، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأفْسَدُوا عَلَيَّ جَماعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلى شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً، وَطائِفَةً عَضُّوا[7] عَلى أسْيافِهِمْ، فَضارَبُوا بِها حَتّى لَقُوا اللّهَ صادِقِينَ...[8]

فَقَدِمُوا عَلى عامِلِي بِها وَخُزّانِ[9] بَيْتِ مالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أهْلِها فَقَتَلُوا طائِفَةً صَبْراً،[10] وَطائِفَةً غَدْراً، فَوَاللّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إلاّ رَجُلاً واحِداً مُعْتَمِدِينَ[11] لِقَتْلِهِ بِلاجُرْمٍ جَرَّهُ لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ، إذْحَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسانٍ وَلايَدٍ، دَعْ ما أنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِين مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِها عَلَيْهِمْ.[12]

---

١ . بوّأهم محلتهم: أنزلهم محلتهم.

٢ . القناة: العود والرمح والمراد به القوة والغلبة والدولة، وفي قوله: استقامت قناتهم تمثيل لاستقامة احوالهم.

٣ . الساقة: مؤخر الجيش السائق لمقدّمه.

٤ . ولت بحذافيرها: بجملتها وأسرها.

٥ . نقب: بمعنى ثَقبَ، وفي قوله لأنقبن الباطل، تمثيل لحال الحق مع الباطل، كأنّ الباطل شي ء اشتمل على الحق فستره وصار الحق في طيه، فلابدّ من كشف الباطل واظهار الحق.

٦ . الخطبة: ٣٣- البيان والتبيين: ١:٧١ و ١٧٥، للجاحظ- ميزان الاعتدال: ٢:٢٧٦، للذهبي.

٧ . العضّ على السيوف: كناية على الصبر في الحرب وترك الاستسلام.

٨ . الخطبة: ٢١٨- الرسائل: للشيخ الكليني- الغارات لابن هلال الثقفي- الامامة والسياسة: ١:١٥٤ لابن قتيبة.

٩ . خزان: جمع خازن.

١٠ . القتل صبراً: أن تحبس الشخص ثمّ ترميه حتى يموت.

١١ . معتمدين: قاصدين.

١٢ . الخطبة: ١٧٢- تاريخ الطبري: ٦:٤٨- المحاسن والمساوي: ص ٤١، للبيهقي- معدن الجواهر: ٢٢٦، للكراجكي.

الخوارج

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا،[1] وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا،[2] "وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا،"[3] وَمَضَيْتُ بِنُورِاللّٰهِ حِينَ حِينَ وَقَفُوا، وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وَأَعْلاهُمْ فَوْتاً،[4] فَطِرْتُ بِعِنانِها،[5] وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهانِها[6]، كَالْجَبَلِ كَالْجَبَلِ لا تُحَرِّكُهُ الْقَواصِفُ، وَلا تُزِيلُهُ الْعَواصِفُ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلا لِقائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ،[7] الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ، رَضِينا عَنِ اللّٰهِ قَضاءَهُ، وَسَلَّمْنا لِلّٰهِ أَمْرَهُ. أَتَرانِي أَكْذِبُ عَلى رَسُولِ اللّٰهِ؟ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاللّٰهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ، فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذا طاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَإِذَا الْمِيثاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي[8].

في تخويف اهل النهروان[9]

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعى[10] بِأَثْناءِ هذَا النَّهْرِ، وَبِأَهْضامِ هذَا الْغائِطِ،[11] سُلْطانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ: قَدْ طَوَّحَتْ[12] بِكُمُ الدّارُ، وَاحْتَبَلَكُمُ[13] الْمِقْدارُ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هذِهِ الْحُكُومَةِ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِباءَ

---

١ . فشلوا: خاروا وجبنوا، وليس معناها أخفقوا كما نستعملها الأن.

٢ . تقبّعوا: اختبأوا، وأصله تقبع القنفذ إذا أدخل رأسه في جلده.

٣ . تعتعوا: ترددوا في كلامهم من عي او حصر.

٤ . الفوت: السبق.

٥ . طرت بعنانها: العنان للفرس معروف، وطار به: سبق به.

٦ . استبددت برهانها: الرهان: الجعل الذي وقع التراهن عليه،واستبددت به انفردت به.

٧ . لم يكن في مهمز ولا مغمز: لم يكن في عيب أعاب به، وهو من الهمز: الوقيعة اغتياب الناس، والغمز: الطعن.

٨ . الخطبة: ٣٧- الامالي: ص ١٣٤ وص ٢١٤ للشيخ الصدوق- المحاسن والمساوي: ١:٨٥ للبيهقي.

٩ . النهروان: اسم لأسفل نهربين لخافيق، وطرفاه على مقربة من الكوفة في طرف صحراء حروراء، وكان الذين خطؤوه في التحكيم قد نقضوا بيعته، وجهروا بعداوته، وصاروا له حرباً، واجتمع معظمهم عند ذلك الموضع، وهؤلاء يلقبون بالحرورية، لما تقدم أن الأرض التي اجتمعوا عليها كانت تسمى حروراء، وكان رئيس هذه الفئة الضالة: حُرقوص بن زهير السَعدي، ويُلقب بذي الثُدَيّة تصغير ثدية، خرج اليهم اميرالمؤمنين يعظهم في الرجوع عن مقالتهم والعودة إلى بيعتهم، فأجابوا النصيحة برمي السهام وقتال اصحابه عليه السلام، فأمر بقتالهم، وتقدم القتال بهذا الانذار الذي تراه، وقيل: إنّه عليه السلام خاطب به الخوارج الذين قتلهم بالنهروان] .

١٠ . صرعى: جمع صريع، أي طريح.

١١ . الأهضام: جمع هضم، وهو المطمئن من الوادي. الغائط: ما سفل من الأرض، والمراد هنا المنخفضات.

١٢ . طوحت بكم الدار: قذفتكم في متاهة ومضلّة.

١٣ . احتبلكم المقدار: احتبلكم: أوقعكم في حبالته، والمقدار: القدر الالهي.

الْمُخالِفِينَ الْمُنابِذِينَ، حَتّى صَرَفْتُ رَأْيي إلى هَواكُمْ وَأَنْتُمْ مَعاشِرُ أَخِفّاءُ[1] الْهامِ، سُفَهاءُ الْأَحْلامِ،[2] وَلَمْ وَلَمْ آتِ لا أبا لَكُمْ بُجْراً[3]، وَلا أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرّاً.[4] في الْخَوارِجِ لَمّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ 'لا حُكْمَ إلاّ لِلّهِ':

قالَ (عليه السلام): كَلِمَةُ حَقٍّ يُرادُ بِهَا باطِلٌ، نَعَمْ إنَّهُ لا حُكْمَ إلاّ لِلّهِ، وَلَكِنْ هؤُلاءِ يَقُولُونَ: لا إمْرَةَ، وَإنَّهُ لابُدَّ لِلنّاسِ مِنْ أَميرٍ بَرٍّ أَوْ فاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيءُ، وَيُقاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَراحَ مِنْ فاجِرٍ.[5] وَقال لِعَبْدِاللّه بْنِ الْعَبّاسِ، لَمّا بَعَثَهُ لِلِاحْتِجاجِ عَلَى الْخَوارِجِ:

لاتُخاصِمْهُمْ بِالْقُرْانِ فَإنَّ الْقُرْانَ حَمّالٌ[6] ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلَكِنْ خاصِمْهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْها مَحِيصاً[7].[8]

يكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين

فَإنْ أَبَيْتُمْ إلاّ أَنْ تَزْعُمُوا أَنّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِضَلالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطائِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي، سُيُوفُكُمْ عَلى عَواتِقِكُمْ تَضَعُونَها مَواضِعَ الْبُرْءِ وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الزّانِيَ "الْمُحْصَنَ" ثُمَّ صَلّى عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَقَتَلَ الْقاتِلَ وَوَرَّثَ مِيراثَهُ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ السّارِقَ وَجَلَدَ الزّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ، ثُمَّ قَسَّمَ عَلَيْهِما مِنَ الْفَيءِ، وَنَكَحَا الْمُسْلِماتِ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللّهِ- صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقامَ حَقَّ اللّهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْأِسْلامِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْماءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ.

ثُمَّ أَنْتُمْ شِرارُ النّاسِ وَمَنْ رَمى بِهِ الشَّيْطانُ مَرامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ[9] وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إلى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إلى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النّاسِ فِيَّ حالاً النَّمَطُ الْأَوْسَطُ، فَالْزَمُوهُ، وَالْزَمُوا السَّوادَ الْأَعْظَمَ، فَإنَّ يَدَاللّهِ عَلَى الْجَماعَةِ، وَإيّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإنَّ الشّاذَّ مِنَ النّاسِ لِلشَّيْطانِ، كَما أَنَّ الشّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ.

---

١ . أخفاء الهام: ضعاف العقل، الهام الرأس، وخفها كناية عن الطيش وقلة العقل.

٢ . سفهاء الأحلام: السفهاء: الحمقى، والاحلام: العقول.

٣ . البُجر- بالضم-: الشر والامر العظيم والداهية.

٤ . الخطبة: ٣٦- مروج الذهب: ٢: ٤٠٢.

٥ . الخطبة: ٤٠- كتاب الأم للامام محمد بن ادريس الشافعي- التاريخ: ٦: ٤١ للطبري.

٦ . القرآن حمّال: أي يحمل معاني كثيرة.

٧ . محيصاً: أي مهرباً.

٨ . الرسالة: ٧٧- النهاية: ١: ٤٤٤ لابن الأثير.

٩ . ضرب به تيهه: سلك به في بادية ضلالته.

ألا مَنْ دَعا إلى هذا الشِّعار[1] فَاقْتُلُوهُ وَلَوْ كانَ تَحْتَ عِمامَتِي هذِهِ. وَإنَّما حُكِّمَ الْحَكَمان لِيُحْيِيا ما أحْيَا الْقُرانُ، وَيُمِيتا ما أماتَ الْقُرْانُ، وَإحْياؤُهُ الْاِجْتِماعُ عَلَيْهِ، وَإماتَتُهُ الْاِفْتِراقُ عَنْهُ، فَإن جَرَّنَا الْقُرْانُ إلَيْهِم اتَّبَعْناهُمْ، وَإنْ جَرَّهُمْ إلَيْنَا اتَّبَعُونا فَلَمْ اتِ- لاأبالَكُمْ- بُجْراً،[2] وَلاخَتَلْتُكُمْ[3] عَنْ أمْرِكُمْ، وَلالْتَبَسْتُهُ عَلَيْكُمْ إنَّمَا اجْتَمَعَ رَأيُ مَلَئِكُمْ عَلى اخْتِيارِ رَجُلَيْنِ، أخَذْنا عَلَيْهِما اَنْ لايَتَعَدَّيَا الْقُرْانَ فَتاها عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُما يُبْصِرانِهِ، وَكانَ الْجَوْرُ هَوا هُما فَمَضَيا عَلَيْهِ وَقَدْسَبَقَ اسْتِثْناؤُنا عَلَيْهِما فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ وَالصَّمْدِ[4] لِلْحَقِّ سُوءَ رَأيِهِما، وَجَوْرَ حُكْمِهِما[5].

وَقالَ (عليه السلام)، وَقَدْ مرَّ بِقَتْلى الخَوارِجِ يوْمَ النَّهْرَوَانِ:
بُؤْساً لَكُم![6] لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ، فقيلَ لَهُ: منْ غرّهم يا أميرَالمؤْمنينَ؟

فقالَ: الشَّيْطانُ الْمُضِلُّ، والنَّفسُ الأمَّارَةُ بِالسُّوءِ؛ غَرَّتْهُمْ بِالأمانِيِّ، وفَسَحَتْ لَهُمْ في المَعاصِي، ووَعَدَتْهُمُ الإظْهارَ؛[7] فاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ[8].

لاتَقْتُلُوا الْخَوارِجَ بَعْدِي، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأخْطَأهُ، كَمَنْ طَلَبَ الْباطِلَ فَأدْرَكَهُ[9].

---

١ . الشعار: علامة القوم في الحرب والسفر، وهو ما يتنادون به ليعرف بعضهم بعضاً.

٢ . البجر: بضم الباء: الشرّ والأمر العظيم.

٣ . خَتَلْتكُم: خدعتكم، والتلبيس: خلط الأمر وتشبيهه حتى لا يعرف.

٤ . الصّمد: القصد.

٥ . الخطبة: ١٢٧- تاريخ الطبري: ٤٨:٦ و ٣٣٧٨- مروج الذهب: ٤١٣:٢.

٦ . البؤس: الشدّة والضيق.

٧ . الاظهار: الغلبة.

٨ . قصار الحكم: ٣٢٣.

٩ . الخطبة: ٦١- علل الشرايع: ص ٢٠١ للشيخ الصدوق.